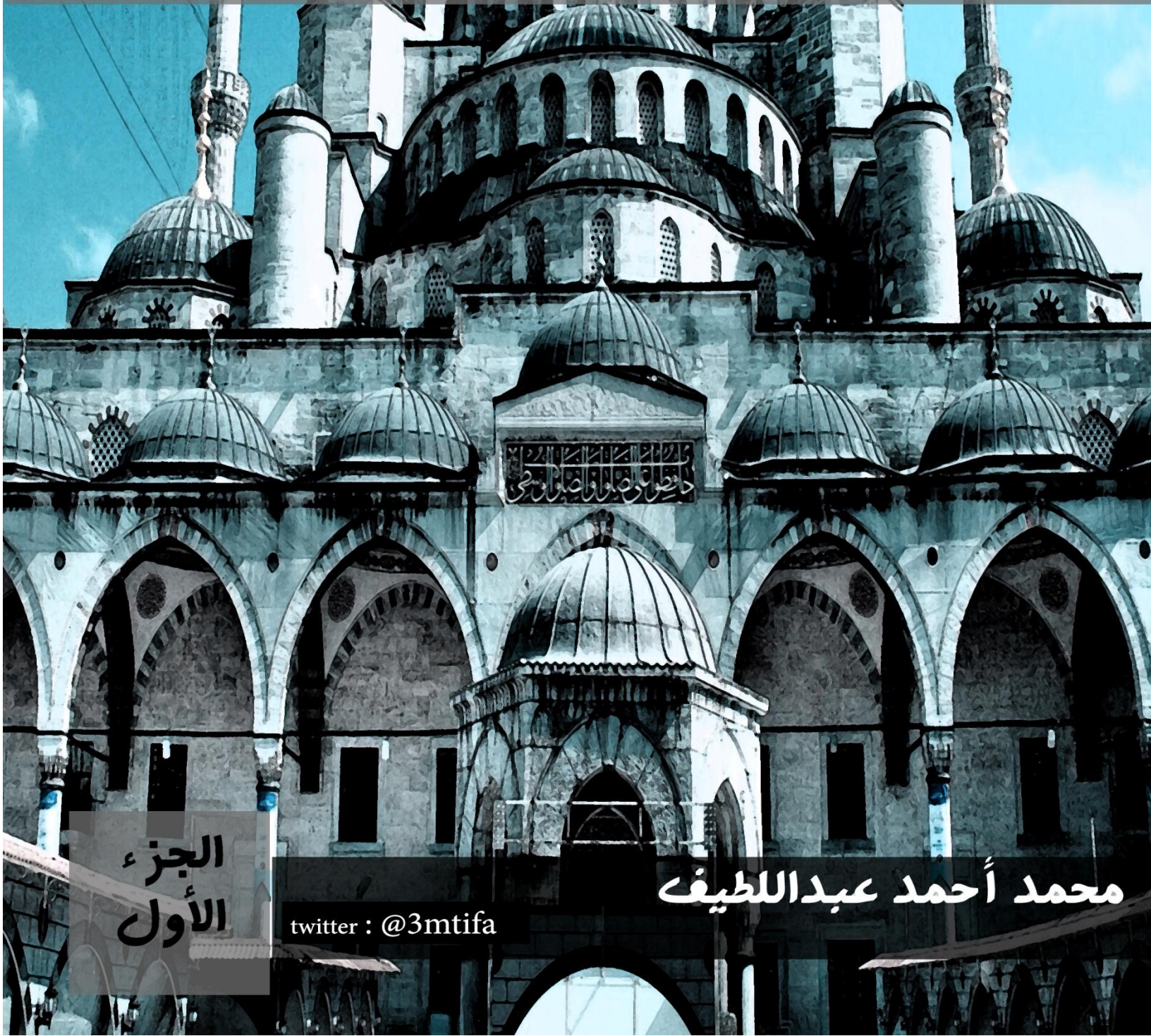


مغرب في تركيا

يوميات طالب في بلد المتناقضات



الجزء
الأول

twitter : @3mtifa

محمد أحمد عبداللطيف

مفترب في تركيا

يوميات طالب في بلد المتناقضات

الجزء الأول : الأربعة تنهور الأولى

محمد أحمد عبد اللطيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"و لم يعد لدى الوطن من وطن
يؤويه فى هذا الوطن
أى وطن؟ الوطن المنفى؟
أم الرهين الممتهن؟
أم سجننا المسجون خارج الزمن؟
نموت كى يحيا الوطن
يحيا لمن؟
أللتراب و العفن؟
نحن الوطن! "
أحمد مطر

اهداء

الى أبي و أمي
الى اخوتي و عائلتي
الى أصدقائي جميعا
الى بيتي و شارعي و حيي
الى مدرستي و كليتي
اشتقت اليكم جميعا !

في القاهرة

أنا موقن بأن القلم هو خير صاحب تستطيع أن تحدث به و لو نفسك , فلو لم يسمعك احد غير قلمك لكفى به جليسا و صاحباً.

أردت أن أسجل كل ذكرى او لحظة هامة اريد ان اذكرها طوال عمري..أردت ان اسجلها في يوميات لعلّي اقرأها ثانية حين يعير بي العمر الى منتهاه..فأعيش ذكرياتي مرة أخرى بقراءتها.. نعم فقراءتها تعطينا روحنا التي يفقدنا اياها الزمان !

لا زلت أعشق تلك الأبيات السابقة – أبيات أحمد مطر - فهي تصيب الهدف و بشدة , و لأنني لا أملك أن أعلق على أبيات كهذه, الا أنني في معرض الحديث لا أكاد أن أخفي حيرتي الشديدة قبل سفرى بمدة قصيرة, نعم كلنا أو معظمنا يريد تركها, و لكننا لا نتخيل العيش خارجها.

بين تذكرة السفر و شارعى القديم
بين أملى السابق و حاضري الأليم
بين اشراقه شمس و اشعاع نار
بين منّا و راح..وسط سجن و حصار !

كتبت هذه السطور قبل سفري بمدة ليست بالطويلة, فهم مغزاها من فهم, و لكن أغلب أصدقائي لم يفهموا مرماها.

نعم فتلك الحالة من الحيرة لا بد و أن تصيبك, و من الأفضل أن تصيبك قبل سفرك حتى لا تتحول الى شوق و ندم على ترك الوطن فيما بعد السفر.

و لأبدأ الحديث من أوله , فشيئا بسيطا لم ألق له باله أراد الله عز و جل أن يجعل فيه خيرا كثيرا ! طلب مني أخي أن أسجل في منحة الحكومة التركية الدراسية قبل الانقلاب بحوالى ثلاث أشهر, رفضت فى البداية و لكنه شجعني و قال لى : لن تخسر شيئا ! فسجلت بعشوائية و لم أهتم كثيرا , حتي في اختياري للجامعات لم أنحر اختيار الجامعات الأفضل في تركيا كجامعة الشرق الأوسط بأنقرة أو جامعة إسطنبول التقنية أو جامعة "هاجي تيبه" و لكنني اخترت بعشوائية شديدة الجامعات, حتي لم أقم بعمل طريقة "حادي بادي" المصرية المعروفة , بل اخترت بلا أي طريقة فقط ارضاء لأخي الذي طلب مني ذلك.

كان ذلك في ربيع عام 2013 , و كان موعد اغلاق التقديم للمنح قد اقترب و لم أكن انتهيت من طلب التقديم بعض , تبقت بعض الخطوات , و أصابني الكسل لاكمالها , يوما ما سألني أخي عبد الرحمن عن تقدم عملية التقديم , فأجبتة أنني لم أهتم و لم أكمل استمارة التقديم , فقال لى: أكملها يا محمد ! قد تكون فرصة جيدة لك فيما بعد, استمعت الى نصيحته, كان بالاستمارة العديد من الأسئلة الشخصية و العامة و المتعلقة بالمنحة بالطبع مثل : لماذا تريد الدراسة في تركيا و لماذا اخترت كليتك المذكورة أعلاه تحديدا ؟ و كيف ترى نفسك بعد انتهاءك من المنحة الى اخر تلك الأسئلة, و قدمتها بالفعل و توكلت على الله و أصبحت غير مكثرثا سواءا جاءني ايميل بقبولى أو برفضى في تلك المنحة.

مضي شهر و اثنين و لم تظهر النتيجة بعد, لم أكن متحمسا جدا لأنني رأيت ان الوضع فى مصر جيد, و المستقبل واضح واعد و رغبتى فى أن أصبح اضافة ما لتلك البلد تزداد شيئا فشيئا.

و بعد حدوث الانقلاب المشؤوم تحولت 180 درجة فأصبحت للسفر مقبلا غير مدبر! و دعوت الله عز و جل من قلبي أن يبسر لي تلك المنحة و أن يتم قبولى فيها و في احدي الأيام جاءني ايميل يبلغني بقبول استمارتي و أن عليّ أن أستعد لحضور المقابلة الشخصية التي سيتحدد بعدها اذا ما تم قبولى نهائيا أو رفضي نهائيا ! , تحدد موعد المقابلة في شهر رمضان في حدود اليوم الحادي عشر من رمضان, تجهزت للمقابلة و اشترت بدلة سوداء من وسط البلد و لسخرية القدر يناسب ذلك اليوم احدي الأحداث التي حدثت في رمسيس و غمرة بين المعارضين للانقلاب و بين "البلطجية" و الشرطة و كنا على مقربة من هذا المكان , و كأن كل شيء في طريقي يخبرني عليك أن ترحل يا ولدي !

و جاء يوم المقابلة في مركز يونس امره بالدقي, توجهت الى المركز, جنّت مبكرا جدا الى المركز فتجولت قليلا في المنطقة المحيطة حتي يأتي الموعد, بعد تجولى دخلت المركز و جلست أنتظر في غرفة بها العديد من الطلاب , كان يوجد حوالى 15 طالب في اليوم الذي ذهبت فيه فقط و في الفترة التي خيروني لأتي فيها فقط , فسألت نفسي يا تري كم عدد المجموع الكلي للطلاب المقبولين لحضور المقابلة الشخصية ! , و لكن سرعان ما قلت لنفسي : " لو بها خيرا فسوفقني الله و لو كنت وسط مليون شخص, و لو لن يكن بها خير فلن يوفقني الله و حتي لو كنت وحدي!" , تعرفت على الشباب الموجودين هنالك و تحدثنا قليلا و سألت من حضر المقابلة عن الأسئلة التي سألوها للطلاب في الداخل, فقالوا لى المقابلة تتلخص في سؤالين يتقرعان ليكونوا المزيد من الأسئلة طبقا لاجاباتك و السؤالان هما : عرّف نفسك , و ماذا تعرف عن تركيا ؟, و قالوا لى لا تقلق فالمقابلة سهلة و الشخصيتان الموجودتان "لذيذتين" و مرحين و ليسوا من ذوي الشخصيات الموترة التي تقلقك في المقابلة لأجل ارباكك , قلت في نفسي جميل هذا شيء جيد , و لكنني لم أقرأ شيئا عن تركيا ! و ليس لدي الكثير من المعلومات العامة عنها, فكل تحضيرى للمقابلة كان عن الجامعة التي كان اختياري لها أول اختيار و التي لم أكن أعرفها الا بعد ما وصلني الايميل الخاص بقبولى , و عن لماذا اخترت العمارة و عن أسئلة المقابلة التقليدية التي حفظتها من كثرة استماعي لها في مقابلات الأنشطة الطلابية بالجامعة.

توكلت على الله و تخلصت من قلقي, جاء دوري و دخلت الغرفة فوجدت شابين لطيفين مبتسمين, قالوا لى بالانجليزية تفضل, و لكن انجليزيتهم كانت ركيكة النطق للغاية, أكاد أجزم أن نطقي أفضل منهم بمراحل , انجليزيتهم كحصيلة كلمات أو قواعد لا أعلم بالطبع و لكن الحصيلة اللغوية كانت تبدو جيدة, أما النطق فسئ للغاية فلم أقلق أبدا من أن تكون المقابلة كلها بالانجليزية, و كما عرفت من قبل, لم تحدث أي مفاجأة و طلبوا مني أن أقدم نفسي, ففعلت, و من خلال تقديمي كانوا يسألونني المزيد من الأسئلة, فمثلا من طرائف هذه المقابلة أنني قلت لهم أنني كنت أعب الكونغ فو فطلب مني أحدهم أن أخلع البدلة و أن أمارس بعض الحركات الخاصة باللعبة !

و أثناء حديثي عما أقوم بفعله في الحياة ! تحدثت عن تقديمي لبرنامج على اليوتيوب تابع لفريق طلابي بهندسة القاهرة و هو فريق " ارتقاء " و البرنامج يسمى ب"عبد اللطيف يتحدث" و يتحدث عن الأقليات المسلمة أو الدول المسلمة المضطهدة في أنحاء العالم و التي لا يعرف الكثير عنها, فأوقفني أحدهم و قال لى : مثل أي دولة ؟ فأخبرتهم بعدة دول و ذكرت منها : تراقيا الغربية التي تحدثت عنها في احدي الحلقات و التي هي أصلا محور خلاف بين تركيا واليونان, فاستفاض في أسئلته في تلك النقطة, كيف يعاني المسلمون هنالك؟ و ما وضعهم الان ؟ الى اخر تلك الأسئلة, و لسوء الحظ أنني قد أحسست أنني نسيت مضمون الحلقة تماما في تلك اللحظة ! و لكنني أجبته فقال لى : و لماذا تقوم بعمل مثل هذه الحلقات و أنت تنوي الدخول في مجال العمارة ؟ قلت له : أنا مسلم و المسلمون أمة واحدة و عليهم أن يشعروا بمشاكل بعضهم البعض, فقال لى : و لماذا لا تخصص في هذا الموضوع و تترك العمارة ؟ قلت له : العمارة مهنة لأعيش منها , لن أعيش من اهتمامي

بقضايا اخواني المسلمين ! فنظر الي بابتسامه و قال لي بعد الخاتمة المعهودة المكررة , تمام انتهت المقابلة و سنخبرك عن نجاحك أو رسوبك ان شاء الله في حدود شهر أغسطس , و طلب مني فحص الایمیل بشكل دوري, شكرتهم و ودعتهم فقال لي أحدهم بالعربية : في أمان الله, فضحكت ثم خرجت, فكرت في نفسي, هل كان من المناسب ذكر جزئية المسلمين في اخر المقابلة , و ماذا يحدث اذا كان المقابلين من التيار العلماني ؟ سوف يرفضونني اذا ! و لكنني قلت في نفسي أنا هكذا, يريدونني أو يرفضونني فلن أغير من شخصيتي و فكري لكي أعجب أحدا ! و تمر الأيام و تمر أشهر الانقلاب شهرا تلو الشهر و رغبتني تتزايد في ترك تلك البلد الظالم أهلها فلم أصل لتلك الحالة من اليأس من المستقبل كما وصلت حينها , حتي في أيام المجلس العسكري الأول بقيادة طنطاوي لم أكن في تلك الحالة من اليأس !

فالعيب الان ليس من النظام,انما من الشعب ذاته,ليست الظروف انما من أنفسنا,و لن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا, اذن امامنا طريق ليس سهل, ففي المرحلة الانتقالية الأولى كانت مطالبنا متوحدة حول وجوب انتهاء فترة الحكم العسكري حتى و ان اختلفنا في سبل الوصول لذلك, لا اتحدث عنم كان مخطئا و من و من..الى اخره ! , كلنا أخطأنا و الا لما وصلنا الى ما نحن به الان ! , و في أثناء كل تلك الأفكار التي لا تفارق رأسي أنتظر البريد الالكتروني و لا شيء يأتي ! و أتابع صفحة المنحة على الفيسبوك و لا شيء يُنشر من الصفحة مما يدل أن نتيجة المنحة لم تعلن بعد ! و في يوم ما فتحت البريد الالكتروني و وصلني خطاب القبول ! طرت من الفرحة آنذاك و جريت الى أهلي لأخبرهم بهذا الخبر السعيد ! تخيلوا سعيد لعائلتي التي كانت فيما قبل تمنع مبدأ سفري من الأساس, و لكن بعد الانقلاب أصبحوا يشجعونني على السفر بدلا من موقفهم السابق,و طلبوا مني التكنم على الخبر لأستعين على قضاء حوائجي بالكتمان, أخبروني بتجهيز بعض الأوراق و تسليمها قبل ميعاد محدد من قبلهم, و كانت تلك الأوراق متعددة كشهادة الثانوية العامة و ترجمتها الى التركية و جواز السفر و تقرير طبي خاص بي و ترجمتهم أيضا الى التركية و كان هذا أول شيء أتعلمه في بداية رحلتي, التعامل الرسمي هنالك بالتركية و لا يعترفون باللغة الإنجليزية في التعاملات الرسمية.

عانيت كثيرا في تجهيز الأوراق و من الروتين الحكومي لدرجة أنني في وقت ما قلت لنفسي فلنذهب تلك المنحة ! لقد عانيت من الإجراءات كثيرا هنا و أنا في مصر, فماذا أفعل و أنا وحدي في تركيا اذن, و لكن والدتي و والدي شجعاني و قالوا لي لا تقلق, و وراء كل شيء عظيم تعب و مشقة في البداية فلا تجزع, و ساعداني كثيرا في تلك الفترة سواء بالتشجيع المعنوي أو حتي المادي و ساعدني أبي كثيرا في انهاء الإجراءات الحكومية, طلب مني والدي أن أتعلم بعض دروس اللغة التركية قبل السفر في تلك الفترة ما بين اعلاني بالنتيجة الى موعد السفر و لكنني لم أتشجع ذلك و يا ليتني سمعت نصيحته, ستعرفون لماذا فيما بعد.

انتهينا من الإجراءات و ذهبنا الى المستشارية التعليمية بالسفارة لأستاذ محمد عيد المسئول الخاص بملف المنح هنالك في السفارة التركية و كان الرجل مساعدا لدرجة كبيرة , و عاملنا كاخوته الصغار لا كموظف يقدم خدمات لطلاب مصريين فازوا في منحة للدراسة في تركيا, و قدم لنا قبل السفر العديد من النصائح التي كان يري أنها ستنتفعنا بعد سفرنا, فمن هنا, من تركيا, أشكره علي ما قام به تجاهنا.

انتظرنا الهيئة الخاصة بالمنح لتحدد لنا موعد السفر, و تحدد الموعد في الرابع و العشرين من سبتمبر عام 2013 , في الساعة الثامنة و الخامسة و العشرين دقيقة.

سأفتقد عائلتي و أصدقائي, لا بد أن أمكث معهم أطول فترة ممكنة اذن, تقابلت مع العديد من الأصدقاء و كتبت على الفيسبوك مخرابا إياهم بخبر المنحة, تفاجأ الكثير و تضايق البعض لأنني لم أخبرهم منذ فترة أطول, و لكن هكذا حدث, زرت العديد من الأماكن و الشوارع التي سأفتقدها بعد

رحيلي, تمشيت على كوبري مايو و وقفت أخاطب النيل , هل حقا جُننت ؟ أم هل حقا أن الفراق صعب كما يقولون ؟ لم أكن أعلم و ها قد خضت في تجربة الفراق بنفسى, و أعتقد أنهم كانوا صادقين الى حد ما.

و ها قد حان وقت الرحيل, ما كنت أظني سأشتاق اليكى كما أشتاق الان ! حسنا ..أنا مستاء منكى و لكننى سأفتقدك,سأفتقد أهلى و بيتى و أصدقائى و مسجدى و شارعى و كليتى.
حسنا ! لا أدري هل التفكير فى ذلك سيفيدنى الان؟ أم سيزيد من أهاتى ! قالوا لى دعك من كل هذا و ركز فقط فى دراستك القادمة, وعدتهم بذلك و طلبت منهم عدم القلق علىّ و طمأنتهم أننى سأتخلص من استهتارى الذى رأوه فى أول سنة لى بالجامعة, و طلبت منهم ألا يقلقوا على ابنهم الأصغر, دعوا لى و نمت فى اخر ليلة لى فى القاهرة و كلى حماس و شوق و ترقب لليوم التالى, يوم السفر !

كانت المنحة التى تم قبولى فيها عبارة عن منحة لمدة عام لدراسة اللغة التركية و فى حالة النجاح فى الحصول على شهادة إتمام اللغة و اجادتها فسوف يتم قبولى فى الجامعة التى كتبتها فى الاستمارة لدراسة العمارة, و كانت المشكلة الأكبر هو أنني سأدرس العمارة باللغة التركية, فكرت فى ذلك و قلت لا يهمنى, سأحاول, بل سأقدر باذن الله على عبور تلك المعضلة, فالذين درسوا قبلى و نجحوا فى دراستهم ليسوا بأفضل منى فى شيء سوى باجتهادهم, تعرفت على الانترنت على جروب على موقع الفيسبوك خاص بالطلاب المصريين فى تركيا, و ساعدنا الكثير من هؤلاء الشباب فى الكثير من المعلومات و الأسئلة الخاصة بوصولنا و بطريقة المعيشة و تكاليفها و دراستنا و الكثير من الأسئلة و تحملنا أولئك الشباب رغم مشاغلهم الدراسية, فجعل الله ذلك فى ميزان حسناتهم.

الرحلة 695

جاء يوم السفر, خرجنا مبكرا من المنزل أنا و والديّ متجهين الى مطار القاهرة الدولي مستقلين سيارة والدي, واتفقنا أن نقابل أخي محمود و عبد الرحمن و نأخذهم بعد انتهاء عملهم لنتجه جميعا الى المطار, طلبت من أبي التوقف في الطريق عند أحد محلات عصير القصب الذي أعشقه و اعتدت أن أشربه يوميا, شربت كوبين من العصير لأنني تيقنت أنني سأفتقده في الشهور القادمة.

وصلنا الى المطار و التقطنا صورة تذكارية جميعا, تلك الصورة التي لا أستطيع النظر اليها الان لأنها تصيبنني بحالة فظيعة من تذكر العائلة مما قد يصيبنني بالبكاء, فضلت ألا أنظر اليها كثيرا,

تحدثنا و سألت الموظف المسئول عن صالة الانتظار فأخبرني أن أدخل مسرعا لأن وقت الدخول للاستعداد و الإجراءات قد اقترب جدا, فودعت أهلي سريعا و عانقتهم , و طلبوا مني ألا أغلق هاتفي الا عند صعود الطائرة حتي يتصلوا بي الى أن أصعد الى الطائرة.

دخلت صالة الانتظار و فوجئت ببنتين في مرحلتي العمرية فعرفت أنهم مقبولين معي بالمنحة , تحدثت معهم قليلا, الأولى كان اسمها دينا و الأخرى لن أذكر اسمها لسبب ما سأذكره لاحقا, كانت دينا لحسن الحظ في الكرسي المجاور لي على الطائرة, هذا جيد جدا, لا أريد أن أكون وحدي في ذلك الوقت !

و كان هنالك فتاة ثالثة و هذا ما اكتشفته و لكنها كانت منعزلة و لم أتحدث اليها حتي, صعدا الطائرة , و لم أتخيل أنني سأخرج من مصر, لم أصدق ذلك , طردت كل المشاعر التي كانت بداخلي , لا أريد الشعور بالحزن الان ! لأحزن لاحقا, أنا الان سأقوم بخوض أول رحلة جوية في حياتي و هذه التجربة يجب أن تملؤها الاثارة و السعادة و ليس الحزن و البكاء على الأطلال, صعدا طائرة الخطوط الجوية التركية و جلست و بجانبني دينا التي كانت تترجم لي ما كان يقوله المذيع الداخلي بالطائرة, و استمرت الرحلة ساعتين لم أشعر بهما , و التقطت أول صورة لي في حياتي في الطائرة و أنا ألق بعبدا عن بلدي مصر, كنت كما ذكرت سافرت على خطوط الطيران التركية , و لا داعي للحديث عن جودة الخدمات هنالك , و عن الإمكانيات الهائلة التي مكنتهم من الحصول على لقب أفضل شركة طيران أوروبية لعدة سنوات , مما أستطيع ذكره هنا بالمناسبة أنني فيما بعد قابلت احدي موظفي الشركة العاملين بالطائرات التابعة لهذه المؤسسة في احدي المطاعم , و بعد أن تعرف عليّ و تبادلنا أطراف الحديث و عرض عليّ شرب مشروب ما من المطعم على حسابه أو طلب الطعام كنوع من الكرم و رفضت بعد ذلك استمرينا في الحديث و شعر بالاطمئنان اليّ فقال لي : أخبرك شيئا , أنت لست كباقي المصريين , لقد عرضت عليك أن تشرب شيئا على حسابي أو تأكل , و أنت رفضت , أنا لا أحب المصريين , هم يصعدون الى طائرتنا و يطلبون الكثير من المشروبات – لأنها مجانية – و أنت لست مثلهم , لم أدر ما أقول حينها , و لكن تبسمت ! لديه الحق , قد يخبرني أحدها " و هذا حقنا , نحن ندفع الكثير من الأموال لتذكرة الطيران على الخطوط التركية فمن الطبيعي أن – نحلل ثمن التذكرة - ! " و لكن هل فكرتم في أن ثمن هذه المشروبات الذي لن يتعدى عدة دولارات , هل هذه المشروبات هي التي س"تحلل ثمن التذكرة " التي يبلغ سعرها مئات الدولارات ! لا لن تفعل , هي فقط ستشوه صورة المصريين , و قد فعلت و لوم مع شخص واحد !

و بالرجوع الى قصتنا , فات وقت الرحلة سريعا و لم أشعر به مطلقا , يكفيك فقط التفكير و كتابة المذكرات لتتسي مرور الوقت تماما , و حانت لحظة الهبوط على أرض تركيا , وصلت قمة الاثارة في نفسي الي منتهاها ! , هيا أيها الطيار اهبط سريعا الى الأرض , فأنا متحمس جدا لرؤيتها , ها هو حلم السفر يتحقق أخيرا , نعم لقد تعلمت هذا الدرس جيدا , فقط احلم , حتي و لو كان الحلم يبدو لك صعبا تمسك به , و امش تجاهه و يوما ما سوف تحققه , ها أنا حلمت منذ حوالي 5 سنوات بالسفر و قدمت في العديد من المناسبات الخاصة بالسفر و لم أوفق في أن يتم اختياري و لكنني لم أترك حلم السفر و ظل في بالي حتي و أنا على مشارف ثاني عام في كليتي هندسة القاهرة , و بفضل الله عز و جل تحقق هذا الحلم بعد طول انتظار , أنت أيضا لا تترك حلمك حتي و لو لم يتحقق في التو و اللحظة , الله يريد لك الخير , فقط احلم ثم اعمل من أجل حلمك و سوف يوفقك الله لما فيه الخير , سواءا تحقق هذا الحلم أو غيره , و كما قال باولو كويلو : " ليس السفر رهنا بالمال و انما بالشجاعة ,....., أعتبر أيام سفري و شبابي أفضل أيام حياتي بالرغم من العجز عن التواصل لجهلي اللغة و الاعتماد على الغير مكرها و بعد أسابيع و أنت تتجول و تصغي الى لغة لا تفهمها و تتداول عملة لا تفقه قيمتها و تجوب شوارع لم تجبها من قبل تكتشف أن كل ما تعلمته لا جدوي منها مطلقا أمام تلك التحديات الجديدة و تبدأ بالادراك أن فيك شخصا أكثر تشويقا و أكثر مغامرة و انفتاحا على العالم و على التجارب الجديدة " , لا أدري اذا كان الكلام كله صحيحا أو أتفق معه شخصيا أو لا , خاصة في جزئية أن ما تعلمته لن يجدي "مطلقا" , لا أري ذلك , فقد أفادنتي بعض التجارب السابقة , بالطبع ليس في كل المواقف خاصة ان كنت لا تعرف عن الجديد الذي ستواجهه , لكن كمجمل عام , هذا الاقتباس من أروع الاقتباسات التي أحبها !

خرجنا من الطائرة , ضرب وجهي هواء تركيا البارد النقي , ابتسمت حينها ابتسامة عريضة و كان بودي أن أصرخ " ها أنا هنا أخيرا ! " , و ظللت لمدة ثواني على سلم الطائرة لا أتحرك من شعوري بالصدمة الممزوجة بالنشوة التي لم أشعر بها في حياتي قط , نزلت و انتظرت زماننا المصريات لنذهب سويا الى الباص المتجه الى مبني المطار لننهي اجراءاتنا , و كالعادة ذهبت الفتاة المغلقة وحيدة , و انتظرت دينا و الفتاة الأخرى لنركب الباص سويا , كنت مع تلك الفتاة الأخرى في الباص أسألها عن مدينتها المتجهة اليها و كليتها الى اخر تلك الأسئلة المعتادة , تحدثنا كثيرا في الباص و في مبني الركاب , و في النهاية سألتها عن توجهها السياسي و قالت لي أنها لا تحب لي ذكره , و بعد أن اصررت قالت لي أنها مؤيدة للانقلاب العسكري , فأحسست بالندم الشديد على أنني حدثتها طوال هذا الوقت , و لكن بالطبع معاملتي لها لم تتغير , حسنا , دخلنا الى مبني المطار و انتظرت في الصف الذي ينتهي بالضابط المسئول عن انهاء إجراءات الدخول , و عندما جاء دوري أحسست الشعور الطبيعي و الذي يحدث غالبا لأي مسافر – ذو خيال واسع مثلي – ألا و هو أن تشعر أن ذلك الضابط ينظر اليك نظرة مريبة و يتردد قبل أن يختم جواز سفرك , لا أدري ما سر هذا الشعور أو الإحساس بالرؤية من الضابط , هل هو حقيقي ؟ هل الضابط فعلا يشك في أي فرد أم ينظر الى المسافرين هكذا ليوقع بالمشتببه بهم كما يقولون " يكاد المرئيب أن يقول خذوني" , أم هو مجرد شعور تافه يدخل الى أذهاننا سببه الأفلام التافهة السطحية التي دوما في الأفلام تصور هذا المشهد بابتدال شديد.

تم ختم جواز سفري , دخلت رسميا تركيا كطالب لديه إقامة مؤقتة لمدة شهرين الى أن أستخرج الإقامة الدائمة لمدة عام بسبب دراسة اللغة التي تستغرق عاما دراسيا كما أخبرتك من قبل .

ذهبنا لنستلم حقائبنا , و بعد أن استلمناها ذهبنا الى مائدة المسئولين من قبل الإدارة المسئولة عن طلاب المنح و التي كانت هنالك لمساعدة القادمين , و قابلت هنالك شاب جيبوتيا طيبا يسمي ب" عبد الرزاق " يتحدث العربية و الإنجليزية , تحدثت اليه و تحدثنا قليلا , و طلب مني الانتظار حتي يتجمع بقية الطلاب لنستقل باصا صغيرا الى موقف الباصات " الاوتوجار " المتجهة الى بقية المدن , جاءت طالبة من كولومبيا تسمي "نانسي" و كانت هي الوحيدة المتجهة في تلك الليلة الى بورصة و هي نفس المدينة التي سأتوجه اليها , و كانت نانسي هذه لا تعرف الإنجليزية و لا التركية و لا العربية بالطبع ! فقط الاسبانية , ناداني الشاب الجيبوتي و قال لي : هذه أختك , و هي لا تجيد أي لغة فسوف تجد اذن صعوبة في السفر الى بورصة وحدها , و أنت رجل , فهل يمكنك أن تصطحبها معك في رحلتك ؟ قلت له لا مشكلة , فأخبرني عن الخطوات التي سأقوم بها عند وصولي الى بورصة , و عامة لم تكن الخطوات التي أخبرني بها مفيدة على الاطلاق , فهي كانت عامة الى حد كبير , مثل : معك ورقة بها عنوان السكن , أرها لهم , سوف يدلونك على الطريق , ما أبسط هذه النصائح ! لم أكن لأعلمها وحدي حقا ! و لكن على أية حال أحببته كثيرا فقد كان شابا طيبا و مساعدا....

استأجر لنا باصا صغيرا يسع حوالي 14 شخصا , اكتشفت فيما بعد أنه "الميكروباص" الخاص بتركيا , هو في الواقع ليس كأى ميكروباص رأيته في مصر يستخدم كوسيلة للمواصلات , فلا حاجة لأن تحشر نفسك لتدخل الى الكرسي الأخير بجانب النافذة مثلا , أو لتعبر من مكان الى اخر , فالميكروباص طوله مناسب لأن تقف فيه حتي ! , و به الكراسي منفردة و منظمة بشكل جيد , و يسمونه هنالك " الدولمش " , هذا النوع من السيارات موجود في مصر بالطبع و لكن لا يستخدم كوسيلة مواصلات عامة مثل هنا , ركبنا و ركب معي والد احدي الطالبات الذي كان في زيارة سياحية فيما أظن مع عائلته الصغيرة الي تركيا , تحدثت معه في بعض المواضيع و استرحت له فقد كان شخصا طيبا كما حسبته و معارضا للانقلاب , و هذا في حد ذاته في ذلك الوقت يكفيني لتكوين وجهة نظر "مبدئية" عن الأشخاص , ففي ذلك الوقت , معارضة الانقلاب لم تكن منتشرة بين الشباب فضلا عن الكبار مثل الان مثلا بعد أن بان أمامنا نحن الشباب الكثير من الأشياء التي كانت مخفية عن البعض آنذاك .

المهم نزلت في الاوتوجار أنا و نانسي , و حجز لنا صديقنا الجيبوتي رحلة مجانية الى بورصة في شركة باصات "مترو" و كانت الرحلة ستنتقل فورا , فاتجهنا سريعا الى الباص لنمكث فيه لمدة أربع ساعات من أجل الذهاب الى مدينتنا الجديدة بورصة , و من مميزات ذلك الباص وجود انترنت "واي فاي" و هذا الذي ساعدني على التحدث مع نانسي عن طريق "جوجل ترانسليت " !! كان ذلك طريقا حقا , و لكن الغير محتمل ألا أستطيع التواصل معها لمدة الرحلة كلها فكان لا بد من التفكير في حل و ان كان يبدو طريقا الى حد ما . سألتها عن تخصصها و جامعتها و اكتشفت أن لها تخصص غريب جدا لا أكاد أتذكر اسمه و لكنه خاص بشئ ما في التربة , المهم , لم تكن الرحلة مملة رغم طولها بسبب وجود الانترنت ! و أثناء سير الرحلة توقفت الرحلة قليلا ليدخل الباص بداخل عبارة تعبر به من جانب بحري الى الجانب الاخر , و لهذا فصل الباص الانترنت و ظلت بلا شيء أفعله طوال تلك النصف ساعة فخرجت الى خارج الباص لأجد في طريقي رجلا ملتحيا , و كأنني رأيت كنزا ! قلت في نفسي قد يعلم بعض العربية بسبب كونه يرتدي جلبابا و ملتحيا و هذا يدل – في مخيلتي حينها – أنه قد يكون ملما ببعض العربية و لو كانت بسيطة ! , حيثته بتحية

الإسلام و تحدثنا قليلا فوجدت عربيته ركيكة للغاية أو بمعنى أصح لا توجد أصلا , فسألني عن مذهبي فقلت له لا أعلم , لا نهتم في مصر بالمجمل بهذه الأشياء , فقال لي كم عدد آيات الفاتحة ؟ قلت له : سبعة ؟ قال لي : اذن أنت لست حنفيا ! الامام أبو حنيفة الامام الأعظم , قالها بكل فخر , من الواضح هنا كما قرأت من قبل أن الأتراك يعتزون جدا بمذهبهم , أكد لي هذا بعض المواقف الأخرى منها مثلا أن الأتراك في التسليم من الصلاة يخالفوننا في أنهم يسلمون مع الامام في نفس الوقت و نحن في مصر أو في العالم العربي نسلم بعد الامام , فبينما كنت أصلي و بعد أن سلمت فاجئني أحد الشباب بقوله : أنت تصلي بطريقة خاطئة ! فهمت مقصده فورا دون الحاجة الى توضيح منه عن السبب فقلت له : أنا أصلي بمذهب مختلف , فسألني : و ما هو ؟ قلت له : مذهب الشافعي , فهز رأسه مستكرا ! , و من الجدير بالذكر هنا أن تركيا معظمها صوفيون , و قلما تجد بها السلفيين , و هذا شيء يدعوك دوما للحذر من المساس تجاه بعض معتقداتهم دون حكمة لتتجنب الفتنة !!

و أخيرا في بورصة

عبر وقت الرحلة سريعا , و وصلنا الى بورصة مدينتنا الجديدة , في "ترمينال" بورصة , حيث كانت الساعة الخامسة و بعد النصف تقريبا , و كان علينا الانتظار الى الساعة السادسة حيث يبدأ تحرك الباصات المتجهة الى داخل المدينة , سألنا احدي المحلات عن الباص الذي يتوجب علينا ركوبه بعد أن أريناهم عناوين سكناتنا الطلابية , فشاؤروا لنا على شخص سيدلنا على الباصات التي سنستقلها , و لكنه كان فيما يبدو مخمورا أو أحمقا فضلت أن أبتعد عنه أنا و نانسي , ثم رجعنا و سألناهم مرة أخرى فلم يستطيعوا إعطاء الإجابة لنا , و لكن دلونا على موقف باصات المدينة و فهمنا أننا يتوجب علينا السؤال هنالك , و بالطبع كما تعلمون , التحدث بالانجليزية في تركيا و خاصة في غير إسطنبول هو بمثابة الحلم , و ان وجدت من يتحدث بالانجليزية فستجد انجليزته ضعيفة جدا للغاية أو تكاد لا توجد .

ذهبنا الى موقف الباصات و اتجهنا الى المكان الذي سنشتري منه تذاكر الباص حيث أن نظام الباصات في تركيا أن الباص يعمل بتذكرة الكترونية تعمل على جهاز مركب بجوار السائق , بنظام يشبه البار كود , سألنا ذلك الشخص , فأخبرنا أن نستقل الباص ركب 95 فيما أذكر , فجلسنا ننتظره الى أن جاء , و بعد أن جاء و ركبته و أشرت بالتذكرة في الجهاز المخصص لذلك و ضاع ثمن التذكرة – اثنين و نصف ليرة – و الذي كان يعتبر في اول مقامي ثمنا كبيرا لتذكرة مواصلات لأنها تعادل تقريبا العشرة جنيهات !! , بعد حدوث كل ذلك قال لي سائق الباص أن العنوان الذي أريد التوجه اليه لن يذهب اليه الباص و أن عليّ النزول و ركوب باص اخر ! فأحسست إحساسا بداخلي يصرخ قائلا : لا ! عشرة جنيهات ستضيع في الأرض أيها السائق بسبب شخص أخبرني بأن أستقل ذلك الباص , فتمتم السائق بوضع كلمات لم أفهمها و نزلت من الباص و ذهبت الى المكان الذي اشتريت منه التذكرة لأخبره ما حدث , فوجدت رجلا يقف بالخارج لا أعلم ماذا يعمل , و لكنه كان يرتدي بلطو طويل , ظننته يعمل في الشرطة طبقا للصورة الذهنية المتكونة في ذهني مسبقا من تلك الصورة التي عليها الرجل ! فأشار اليّ أن أستقل الباص 99 تقريبا على حسب ذاكرتي و فهمت منه بالإشارة أنني لن أدفع شيئا اخر , فاستراح قلبي ! لم يكن موضوع "عيب" تحويل الأموال استقر فيّ بعد , فهذا الموضوع من أخطر العيوب التي تواجه المصريين بالخارج , هم أنهم دوما يقومون قبل شراء أي شيء أو قبل التفكير في أي شيء , يقومون بتحويل العملة في رأسهم من العملة الجديدة الى الجنيه المصري ليحسبون قيمتها أولا , و هذا شيء خاطئ تماما خاصة ان كنت ستعيش في ذلك البلد الجديد , بل الصواب أن تحسب قيمة الشيء مقارنة بمدخلاتك الشهرية , بدون ذلك فستموت كمدا قبل أن تموت جوعا في أي بلد تذهب اليها !!

و ركبت الباص و أردت أن أستوثق من أن هذا الباص يذهب الى سكني الجديد الواقع في شارع معمار سنان فعندما ركبت الباص وجدت رجلا في الخمسينات من عمره , سألته هل يتحدث الإنجليزية فأجابني بالنفي , و فاجئني بالسؤال : هل تتحدث الفرنسية ؟ ندمت في قرارة نفسي , أخبرت نفسي : يا الله ! كنت أعرفها من بضع سنوات فقط عندما كنت أدرسها في الثانوية العامة و الان نسيتها تماما ! فقلت له لا أعرفها , فطلب مني ورقة العنوان , فأريتها له فأشار لي بالجلوس

كدليل أن هذا الباص يتجه الى هنالك , جلست على احدي الكراسي , و بما أنه كان لدي أربع حقائب بصحبتني , فوضعت على الكرسي الذي بجانبني احدي الحقائب , و لم أنتبه الا بعد أن سار الباص و عبرت حوالى الثلث ساعة أن الباص به الكثير من الواقفين و أنه لم يطلب مني أي شخص بالباص أن أحمل حقيبتي من علي الكرسي ليجلس هو مكانها و هذا حقه ! فتنبهت لذلك و نزعتها و طلبت من أحد الواقفين الجلوس و تأسفت , و لكني رأيت كم هم محترمين أهل تلك البلدة !

و بينما أنا جالس في الباص و قلق جدا أن أتوه أو أن تفوتني المحطة خاصة و أنني أسافر وحدي في بلد لا أعرف لغته و لا أعرف طريقي الى أين و لا أعرف أي شيء ! كنت أسأل السائق بمعدل مرة كل عشرة دقائق سواء عن طريقي أو عن سؤال شخص يسأل السائق , نعم لقد كنت مملا جدا حقا , و مع الأسف لم يكن أي أحد في الباص يفهم لغتي , و لا حتي الإنجليزية , الى أن كنت جالسا في الباص فوجدت الفتاة التي تجلس على الكرسي المقابل تقول في وسط كلامها الذي لم أميزه كلمة " يعني " فانتنفضت من على كرسي ! قالت يعني , عربية في الباص , " ياما انتا كريم يا رب " فابتسمت و كدت أضحك ضحكة المجنون أو العالم الذي يكتشف شيئا غامضا بعد حين و يصرخ "وجدتها وجدتها" فقلت لها : هل أنتي عربية ؟ لم تفهم , فكررتها بالانجليزية لذكائي فأجابت بالنفي , فقلت في قرارة نفسي , هل هذه الفتاة تخدعني أم أن أدني هي التي توهمت سماع تلك الكلمة ! فيما بعد عرفت أن كلمة يعني تستخدم في اللغة التركية و بكثرة !!

مر وقت طويل في الباص , ما يقرب من الساعة و أنا جالس أشاهد مدينة بورصة , و أري معالمها , و أستمتع بالاحساس الخيالي الذي ينتاب المرء منا حين يزور مدينة جديدة خاصة و ان كانت خارج نطاق معرفته , بورصة رابع أكبر مدينة بتركيا , العاصمة الأولى للخلافة العثمانية و التي فتحت عام 1326 ميلاديا , بورصة التي شهدت العديد من الحضارات و الثقافات و التي يعتقد أنها أسست في حوالى العام 186 قبل الميلاد , بورصة تطأها قدمي , أري معالمها و ناسها و شوارعها و محالها , بورصة الخضراء كما يطلقون عليها , ها قد وطأتها قدمي ليتحقق بها حلمي في السفر , و في ظل تفكيري و خيالاتي , يناديني السائق بالنزول , اه ! أربعة حقائب لجديرة بجعلك تكره السفر حقا , ساعدني شاب تركي في انزال الحقائب من الباص , شكرته بالانجليزية و لم يفهمني فيما أظن و لكن فهم مقصدي فحياني برأسه و ها أنا ذا أمام سكني الطلابي الذي سأمكث فيه عاما أو أكثر باذن الله , ذهبت الى غرفة الحراسة في مدخل السكن , أريتهم جواب قبولى بالمنحة و ورقة الإقامة بالسكن الخاصة بي فأشار الحارس لى للتوجه الى مبني الإدارة الواقع في يمين مدخل السكن مباشرة , ذهبت هنالك , كان الوقت مبكرا نوعا ما و لم يبدأ الدوام بعد , فجلس معي اثنين من العمال , و تحدثنا و تعرفنا على بعضنا البعض , و قالوا لى أن علي الانتظار الى الساعة التاسعة , فأردت أن أستغل وقتي فأخبروني أن أذهب الى مركز اللغة لأبدأ إجراءات تسجيلي في المركز حيث سأبدأ دروسي في حوالى أسبوع من الان , فأشار لى الحارس على "دولمش" أركبه لينزلني في المكان الذي سأبدأ فيه فيما بعد دروسي باذن الله , ركبت بالفعل الدولمش و جلست أنظر و أتأمل الطرق , و الطرق المرتفعة التي تتميز بها الشوارع الجانبية في بورصة , و كانت أجرة الدولمش 2 ليرة , فكفرت ثانية و قلت ياللهول , لو دفعت كل يوم 2 ليرة ذهابا و 2 ليرة إيابا فقد أذف في الشهر قرابة المائة ليرة أي ما يقارب الثلاثمائة و خمسين جنيها مصريا , لم أتخلص من عقدة التحويل بعد , حسنا , هذا طبيعي, ما زلت في أول يوم لي هنا , و تستغرق عقدة التحويل هذه حوالى أسبوع الى أسبوعين في الغالب , بعدها سوف تعتاد الوضع

الجديد, وصلت الى الشارع المقصود , لم ينزلني الدولمش أمام المركز و انما أشار لى أن أكمل طريقي و سوف أجد المركز في الأمام على اليسار , وصلت الى المركز و فهم الرجل أنني من طلاب المنح و لم يكن يعرف الإنجليزية , تخيلوا في مركز لتعليم اللغات و لا يعلم الا التركية , كان التواصل صعبا , و لكن تواصلنا , أعطيت له الأوراق المطلوبة , أراد أن يخبرني شيئا و لم أفهمه فوجدنا بعد قليل لحسن الحظ شخص سوري يتعلم التركية في المركز فساعدني في الترجمة و أعطاني رقمه في حالة الحاجة اليه أو المساعدة فشكرته و رحل و لم أتصل به قط , و لم أره مرة أخرى في المركز بعدها طوال أربعة أشهر الى الان !

و لكن ثمة مشكلة أخرى تواجهني , أنا الان ذهبت الى مركز تعلم اللغة , و لكنني لا أعرف كيف سأرجع الى السكن مجددا ! أريت الموظف في المركز عنوان السكن و كان متعاوننا جدا , ترك عمله و ذهب معي ليوصلني بنفسه الى موقف الدولمشات , فأراني طريقا مختصرا و لم أنسى له ذلك الجميل أبدا الى الان , أراني الدولمش و ذهب ليتحدث مع السائق ليخبره أين عليه أين ينزلني , و جلست بجانب ذلك السائق الشاب ذو الظل الخفيف , و تحدثنا سويا باللغة المشتركة لدي جميع سكان العالم , عرف أنني من مصر فرحب بي أكثر و فهمت منه أنه مع رابعة و يؤيد مرسى , و أخذ مني فقط ليرة و نصف حيث قال لى أنني طالب , فرفضت ظنا مني أنه يفعل ذلك مجاملة لى , و لكنني اكتشفت فيما بعد أن التسعيرة الرسمية للطلبة ليرة و نصف , سحقا , لقد استغلني السائق الاخر لجهلي اذن , و لكن ليست مشكلة , شكرته , و كان معه بعض التسالى فعزم علي ببعضها و لم أرض أن أرفضها رغم أنني لا أحبها حتي لا يكون موقفا محرجا بالنسبة اليه , و في النهاية وصلت الى سكني و أنزلني السائق و دنني على سكني حيث أنني لم أنزل أمام بوابته أيضا , فذهبت و وجدت العاملين هنالك و بجوارهم حقايبى التي تركتها طبقا لنصائحهم بتركها , و مع أنني كنت خائف جدا لسرقتها , لكن اكتشفت فيما بعد أنني لو تركتها يوما كاملا وحدها فلن يتعرض اليها احد هنا , كان يتحتم علي الانتظار مجددا لأن الدوام لم يبدأ بعد , انتظرت قليلا ثم ذهبت الى الموظف المسئول , أنهيت بعض الإجراءات الروتينية السخيفة و أخبروني بأنه يتحتم علي الان فعل شيئين , الذهاب الى مديرية الأجانب لأخذ الإقامة , و الذهاب الى الجامعة لتسجيل قيدي بها و للتسجيل في الجامعة كان علي فعل شيئا اخر و هو الذهاب الى مديرية التعليم لمعادلة شهادتي المصرية هنالك , فذهبت الى مديرية الأجانب و قدمت طلبا للإقامة , و اشتريت بعدها خطا تركيا للجوال , و بعدها لأن الوقت كان تأخر فرجعت الى السكن لأنني لن أستطيع اكمال مشاويري في هذا اليوم , رجعت الى السكن لأكمل إجراءات تسجيلي فيه , يا له من روتين سخيف , كان علي أن أملا بعض نماذج التقديم و أقدمها للموظف ثم أذهب لموظف اخر و أملا عنده نماذج أخرى و أنتظر ثم أقدم أوراقى ثم تعاد الى ثانية لوجود أخطاء بها..الى اخر تلك الدائرة , و لحسن حظي وجدت شابا تركيا يتحدث بعض الإنجليزية من أنقرة و لكنه يدرس هنا يسمى "امرو الله" , ساعدني في ملأ الاستمارة و كنت سعيدا جدا لذلك , تعرفت عليه , ثم بعد أيام وجدته أضافني على قائمة أصدقائه بموقع الفيسبوك , لا أعلم من أين وجدني لأن اسمي مكتوب باللغة العربية و من الصعب عليه ايجادي, لكن قد يكون أخذ ايميلي من الاستمارة التي ملأتها , المهم انتهيت من إجراءات السكن و ذهبت ثانية الى المسئول لأسلم له الاستمارة فسألني : هل تعرف شخصا في هذا السكن ؟ , و كنت قبل مجيئي الى السكن قد عرفت الكترونيا شخصين عن طريق مجموعة على الفيسبوك أقيمت لتضم الطلاب الأجانب المقبولين في المنحة و الذين سيدرسون في جامعة اولودا , و هم أحمد حبيب صديقي المصري , و

الذي سيصبح رفيقا للكفاح فيما بعد , و صديقي رامون الروماني و الذي أيضا ستكون له نقطة تحول كبيرة فيما بعد !! , و لأنني أقرب الى المصري المسلم بالطبع قلت له نعم أعرف أحمد , فأخبرني : اذا سوف تمكث معه في نفس الغرفة ! , فقلت في نفسي هذا شيء حسن , لا أعرف اذا كان هنالك عربا غيرنا هنا أم لا , اذن ستكون فرصة لأن يكون بجانبني شخص مسلم عربي مصري لنكون معا في الغربية , ذهبت الى غرفته و غرفتي الجديدة رقم 104 فوجدت الغرفة ضيقة كما وصفها لي أحمد قبل مجيئي عندما تحدثت معه على الفيسبوك لأسأله عن أحوال السكن حيث جاء قبلي ببضعة أيام , و بالغرفة ثلاثة سرائر ذات طابقيين أي بالغرفة ستة أشخاص , و كنت أنا سادسهم ! تضايق الشباب في أول الأمر كما أظن بالطبع من الضيف الجديد الذي حل عليهم لضيق الغرفة , و لكن مع الوقت أصبحنا أصدقاء على علاقة جيدة جدا , كان بالغرفة كما أخبرتك صديقي أحمد المصري الذي كان يعيش و يدرس في قطر , و سيدرس هنا باذن الله بعد دراسة اللغة الهندسة الميكانيكية , اذن فنحن أيضا مشتركين في مجال الهندسة حيث سأدرس العمارة باذن الله أيضا , و كان يوجد بها فواز الشاب الغاني المتدين , الذي كنت أظنه لمدة ثلاثة أشهر تقريبا من مقدمي في عمري و فوجئت بأحمد يخبرني أن لديه 28 عاما ! فقلت لفواز بعدها أنني عاملتك طيلة تلك الأشهر على أنك في سني فيما في ذلك من مزاح و طريقة كلام مع من في مثل عمري فقال لي لا مشكلة نحن اخوة , و فعلا هو شخص طيب جدا و خلوق , و يفهم أحيانا اللغة العربية و لكنه لا يتحدثها و لكنه يحفظ الكثير من القران الكريم , و ثالثا كان جيمس الجنوب سوداني , الذي كان يعرف العربية و الإنجليزية و لكنه سيدرس في جامعة خاصة تدرّس باللغة الإنجليزية , هو محظوظ كما نخبره دوما , و رابعنا كان سيدريك الشاب الكاميروني خفيف الظل , الطيب , ذو الضحكة الصافية, سيدرس الاقتصاد أيضا بعد السنة التمهيدية لدراسة التركية , و لكنه فيما بعد انتقل الى سكن اخر و ترك الغرفة , و خامسنا كان ميرزا الشاب الجورجي الذي لم يعرف الإنجليزية فعجزنا عن التواصل معه الى أن بدأنا في دراسة التركية لتتحدث سويا بلغتنا المشتركة الجديدة , كان في مثل عمرنا أيضا يمتلك شعرا بنيا مانلا للحمرة , و مسلم و يجيد قراءة القران حيث درس في جورجيا لمدة 3 أعوام دورة تدريبية شاملة لدراسة القران الكريم بجوار المواد التقليدية , و كان المسئول عن تلك المدرسة الخيرية رجل اعمال تركي , أقام لهم في جورجيا مؤسسة يقيمون بها و يدرسون بها و كل المصاريف مغطاة بواسطته .

هؤلاء كانوا رفقاء غرفتي , أما رامون فحين بعثت له رسالة على الفيسبوك بوصولي فجاء الى غرفتي ليرحب بي , و كان رامون يقيم في نفس الدور الذي أقيم به مما سهل علينا التواصل كثيرا , و كان رامون سيدرس في نفس التخصص الذي سأدرس فيه ان شاء الله و هو العمارة , أصبح رامون صديقا مقربا لي , و أصبحنا ثلاثتنا أنا و أحمد و رامون على مقربة و ذهبنا سويا للعديد من الرحلات و تجولنا في بورصة سويا في أول فترة مجيئنا.

ها أنا ذا في سكني الجديد الذي سأسكن ان شاء الله فيه لمدة عام , لم أتأقلم على المناخ الجديد بعد , سأكون مضطرا الي البقاء بعيدا عن أهلي و أصدقائي و شارعي و مدينتي و كليتي , من ذا الذي سيهتم بي ؟ و يرتب أغراضني و يغسل ملابسي ؟ علي أن أتحول اذن من كوني شخص اعتمادي الي شخص استقلالي , كنت أوّجّل ذلك التحول قدر المستطاع و لكنه جاء رغما عني , ناداني نداء الجوع , ذهبت الى المطعم المرفق بالسكن الجامعي و الذي يبعد عني حوالى خمسة دقائق مشيا , و لم أجد "كولدير" في أي مكان في السكن , من أين سأشرب اذن ! هل سأشتري مياها معدنية كل يوم

! , اضطررت الى شراء المياه المعدنية لعدة أيام , و لكن فيما بعد اكتشفت وجود "كولدير" في المبني الإداري في السكن , و لكن لأنه ليس من اللطيف مطلقا أن أدخل المبني الإداري لأملا زجاجة المياه ففقت فيما بعد بملأ المياه من سبيل بجوار السكن بخطوات , كان بعض زمائلنا الأجانب يخشون الشرب منه لأنهم يشكون أن المياه بها نسبة من الكلور , كان بداخلي شعور يغني في أعماقي " مشربوش من نيلها " .

تعرفت في المطعم على عدد من العاملين به و كانوا قمة في الطيبة و حسن الخلق و الروح الانفتاحية المرحة , كالسيد مراد و متين و محمود , و كان أقربهم انفتاحا للجميع مراد , حيث كان يمزح مع الطلبة و يحدثهم كثيرا و من هواياته جمع العملات و طلب مني ذات مرة عملة مصرية فأعطيتها له و أعطاني قيمتها بالتركية بعد أن أصر على ذلك , و رأيت معه العديد من العملات التي جمعها من الطلاب الذين قابلهم من مختلف البلدان على مستوي العالم , لم يكن أكل المطعم بالسئ و لا بال ممتاز , و لكنه كان مقبولا على كل حال , و لكن أن أبقى عليه طوال العام هذا ما كان يحتاج الى تغيير نوعا ما , لذا ففي بعض الأحيان كنت أكل من المطاعم المجاورة للسكن , لمنع الملل من أن يتسرب الي من ذلك الطعام المكرر كل أسبوع.

هل حدثتكم عن صديقي يونس الصومالي ؟ في بداية وصولي للسكن كنت لا أعلم وجود الكثير من العرب في السكن..كنت أظنني أنا و أحمد صديقي المصري فقط الموجودين في السكن - قبل أن أعلم أن هنالك ما يقرب من ال 10 أشخاص عرب ! - المهم و بينما أمشي في الممر..سمعت من وراءي صوتا جميلا يغني أغنية يونس لمحمد منير

جاي من بلادي البعيدة

لا زاد و لا مياه

و غربتي صاحبتني

بتحوم حواليا

و انتي تقولي لي بحبك

تحبي ايه فيا

و ده حب ايه ده اللي من غير أي حرية ؟!

ففظرت خلفي بسرعة و قلت له : انتا عربي ! فقال لي : أتعرف محمد منير ؟ فأحسست احساسا

ضاحكا ..ان لم اعرفه انا - المصري - فمن سيعرفه ؟

المهم صديقي يونس من الشخصيات التي احببتها و احترمتها كثيرا..يتحدث الفصحي جيدا..

و تحدثنا أحيانا في العديد من الموضوعات..و لكنه الان ترك السكن مع الاسف و انتقل الى سكن

خاص..سأفتقده كثيرا !

مما قاله لي يونس و كتبته في بوست سابق في صفحتي بالفيسبوك " مغترب في تركيا "

"يونس - الصومالي - اخبرني انه دلوقتي ف الصومال للاسف حوالى 50 ف المية من الشعب او

اكثر لا يتحدث العربية..اصبحو يتحدثون الانجليزية بدلا عنها..سالته..اعلم ان الدول العربية خذلتكم

كثيرا و اهملت في قضيتكم لذا لا الوم عليكم ترككم للعربية..اخبرني انه ليست هذه النقطة في

تركها..و لكنه بث الى احزان كثيرة المتني..في ان غير المسلمين يساعدون بعضهم البعض اكثر

من المسلمين..حاولت التبرير للتخفيف عن الام سكنت بداخلي قلت له..و لكن كل الدول العربية بها

مشاكل...قال لي : و ما هي مشاكل الامارات ؟قلت له نعم..لديك كل الحق..قال لي...اكثر من 50

سنة و مشكلة فلسطين قائمة..ماذا فعل العرب لها ؟سوريا ؟الصومال...الخ..بالفعل المنى !"

و من المواقف الطريفة اللي حكاها لي أيضا:

"

يونس ف بداية تعلمه للتركية حصل معاه حبة مواقف مضحكة نتيجة تشابه كلمات ف التركية.. احكيهالكو ..كان راكب ميكروباص فعابز ينزل من الميكروباص فعابز يقول للراجل عابز انزل من الميكروباص..فتشابه كلمات بقي..فقال للسواق : فى الباص بقرات كثيرات فيصوله باستغراب و قالو له ايه ! كرر كلامه..عرفو انه خواجة بقي فاستلموه..قالو له : انت بقرة ؟ قالهم ايوا انا بقرة - هو ميعرفش طبعا انه بينطق غلط..كل ده هو فاكر انه بيقول عابز انزل من الاتوبيس و الناس عمالة تألش عليه ...

بنت راحت الكانتين تطلب عيش ساخن..عيش و " رجل " متشابهين ف النطق ف التركي بدل ما تقول انا عابزة عيش ساخن..قالت انا عابزة رجل ساخن..تخيلو رد فعل اللي واقف عالكاشير بقي...و هو ف الفصل الاستاذ ساله فين زميلك ..فعابز يقوله زميلي ف السكن..كلمتى السكن والبيض متشابهتين ف التركي..فقاله زميلي ف البيض...".
و كنت أري يونس من حين لآخر حين يمر علينا في السكن لالقاء السلام , فعلا من الشخصيات التي شجعتنا و ساعدتنا على التأقلم وسط الحياة الجديدة و من أكثر من افتقدت في السكن.
لم أخبركم عن باقي أصدقائي في السكن , و لكن سأخبركم عنهم واحدا تلو الاخر في المواقف التابعة لهم , و لكن من الضروري أن أخبركم عن انضمام طالب مصري ثالث الينا في سكننا أتي بعدي بعدة أيام و هو "عبد الغفور" الذي يدرس الماستر في احدي التخصصات المتخصصة في اللغة التركية بعد أن درس اللغة التركية بمصر , و هو شاب اسكندراني "جدع" له معي مواقف شهمة لن أنساها له أيضا , كثيرة هي تلك المواقف التي لن أنساها اذن ! يا تري , هل فعلت أنا لهم ما يستحق ألا ينسوه ؟ لا أعلم.

ممن قابلت في بداية مقدمي الى بورصة أيضا الدكتور عبد الوهاب شاكر , الرجل الذي ساعدني كثيرا قبل مجيئي الى تركيا بطمأنته لي و على اجابته على الكثير من الأسئلة التي كانت تدور في خاطري , و قد كان يسكن في سكن خاص به , و يعتبر هو كبير المصريين في بورصة , حيث هو أقدمنا مقدما هنا و أكبرنا سنا أيضا , يدرس التاريخ و له عدة مؤلفات نزلت في الأسواق و , بالإضافة الى ذلك هو رئيس اتحاد الطلاب العرب في بورصة , و هو رجل مساعد و دبلوماسي , و من خلال معرفتي به الى الان لم يخبرني أبدا بتوجهه السياسي و لم أحاول حتي سؤاله .

و لا أنسي محمد و أسامة الغزاوية و حكاياتهم لي التي تقتل قلبي حزنا على أحوال إخواننا المسلمين في غزة , كان الله معهم , عسى الله أن يجعل نصرا قريبا من لده يعم جميع بلاد المسلمين !

جامعة اولودا

ذهبت في احدي الأيام التالية مباشرة الى جامعة اولودا لأبدأ في خطوات تسجيل القيد كطالب في الجامعة مؤجل قيده الى أن أتم تعلم اللغة التركية و أقوم بتقديم شهادة رسمية تفيد ذلك الى الجامعة , فذهبت و فوجئت بالمساحة الرهيبة للجامعة , فبالرغم من أن الجامعة ليست من الجامعات الأولى في تركيا , و لكن مساحتها أضعاف أضعاف مساحة جامعة القاهرة جامعتي السابقة ! , و تمتلأ الجامعة بالمساحات الخضراء التي توهمك أن الجامعة أصلا تقع وسط غابة, نزلت من المترو الذي قطعت خطه كاملا من محطة "أرابياتا" التي تقع جوار سكني الى محطة الجامعة الأخيرة في الخط ثم نزلت لأستقل باصا مجانيا يستقلني الى كلية العمارة حيث أن الذهاب مشيا على الأقدام يعد صعبا للغاية لكبر مساحة الجامعة , ذهبت الى كلية العمارة لأجدهم يخبرونني بأن أوراق تقديمي يجب أن تسلم في كلية الهندسة الميكانيكية , و ذهبت هنالك و فوجئت بجمال كلية الهندسة الميكانيكية و قارنتها تلقائيا بقسم ميكانيكا هندسة القاهرة و رفعت صورة على الفيسبوك لمدخل الكلية و تركت التعليق لأصدقائي , بين واحدة من أكبر كليات الهندسة في مصر , و بين كلية ترتيبها ليس بالمرتفع في تركيا , فارق 10 سنوات فقط في التقدم تسبقنا به تركيا , و لكنه مع الوقت مع الأسف يزيد و يزيد , نحن الى أسفل , و الجميع الى الأعلى !

ذهبت الى غرفة شئون الطلاب و كالعادة لا أحد يجيد الإنجليزية , و لحسن حظي وجدت شابا تركيا يجيد الإنجليزية فأصبح كالواسطة بيني و بين الموظفين , وساعدني كثيرا و أخذت ايميله و لولا فضل الله ثم لولاه لما عرفت التواصل مع أولئك القوم ! , و حقا أقولها بصدق , لولا مساعدة الأصدقاء الأتراك هنا سواء في السكن أو في الجامعة أو في مركز اللغة أو في أي مكان أذهب اليه لما عرفت أن أقوم بأي شيء في هذا البلد الذي لا يجيد غالبية أهله الا التحدث بلغتهم التركية , هل هذا نوع من الاعتزاز باللغة الزائد عن اللازم أم الكسل عن تعلم اللغات أم ماذا ؟ لا أعرف.

تكرر ذهابي للجامعة عدة مرات لانتهاء الإجراءات , و كان مشوار الجامعة ثقيلًا علي رغم حبي للذهاب هنالك لأنه كان بعيدا جدا عن سكني , و كذلك لأنني كل مرة لا أجد بسهولة مواصلة أركبها الى المترو أو حتي طريق الرجوع مشيا ! و في احدي المرات بينما كنت سائرا سألت أحد الطلاب عن طريق الرجوع الى المترو أو حتي مواصلة أركبها توصلني الى هنالك , فترك ما في يده و ذهب معي الى موقف الباصات و سأل السائقين و لم يجد الدولمش الذي يوصلني الى هنالك , و انتظرنا قليلا , فقلت له لا مشكلة سأمشي تلك المسافة , فقال لي : تعال معي سأوصلك بسيارتي ! قلت له لا أريد أن أتعبك , و رفضت و لكنه أصر جدا , كان اسمه يانكي . يدرس الهندسة الميكانيكية و يريد الذهاب الى البرتغال في برنامج التبادل " ارasmus" و لهذا السبب كان يتعلم الإنجليزية , و أوصلني بالفعل الى المترو و كنت شاكرا له جدا هذا الموقف و لن أنساه أبدا و طلبت منه حساب الفيسبوك الخاص به , و بالفعل أعطانيه إياه , و أرجو أن يكون على ما يرام الان ! , و في طريق عودتي الى السكن بالمترو أشاهد من نافذة المترو الزجاجية جمال و رونق طبيعة بورصة الخضراء , بعد أن كانت تركيا من عشر سنوات فقط في مستوي اقتصادي سيء و عدم اهتمام بالوضع الاجتماعي أو البيئي للبلاد , في ظل تلك السنين القصيرة حدثت نهضة قوية في تلك البلد , المعادلة بسيطة , ثقافة راقية من الشعب و إرادة حقيقية للإصلاح , و إدارة حكيمة ذات خطط مدروسة و فعالة لحل المشاكل التي تواجهها الدولة , و تلك المعادلة البسيطة تساوي كنتاج : دولة

متقدمة , نعم أسمعك يا صديقي , تخبرني بأن تركيا دولة علمانية ؟ هل مصر اذن هي حامية الإسلام ؟ الفرق بيننا وبينهم أنهم يعلنون ذلك صراحة و أننا هنا نضحك على أنفسنا , تخبرني بأن الخمر هنالك تملأ الشوارع و أن هنالك العديد من مظاهر الحياة المتفتحة "كما يطلقون عليها خطأ" و العلاقات المفتوحة بين الجنسين ؟ , أولا الأمر ليس كما تظنه و ليس كما صورته لي صديقي مصطفى قبل أن أسافر , و ثانيا أن هذا يحدث مع الأسف في الكثير من الدول العربية أيضا, فلا داعي لذكر عيوب الآخرين قبل اصلاح عيوبنا اذن ! , أكتب تلك اليومية من المترو ! تخيلوا ؟ حيث الهدوء و استقرار الحركة , لا ازعاج , لا ضوضاء , لن تجد شابا يمسك بهاتفه جواله ليشغل عليه أغنية شعبية تركية بصوت مرتفع , كل شيء هنا يدعوك للاسترخاء , لم أجد بائعا متجولا يجول عربات المترو ينادي على سلعة يروج لها , لم أجد متسولة تجوب عربات المترو لتستجدي عطف الناس, لم أجد ورقة معلقة على باب المترو فيها اعلان عن وظيفة أو شيء من هذا القبيل. لم أجد شابا يكتب على باب المترو "ملك العفاريت" و رقم جواله تحت اسمه ليجد الفتاة المناسبة التي ستتصل به " ان فعلت" ! . و ها أنا أكتب بكل تركيزي الان احدي مذكراتي , و من أجمل ما رأيت في المترو هو زر على بابه يحفظ لك احترامك و كرامتك المستحقة كراكب يدفع ثمننا في مقابل خدمة يتقاضاها . تستطيع كراكب للمترو أن تفتح باب المترو بعد أن يغلق بضغطة بسيطة على زر على باب المترو ليفتح لك المترو مرة أخرى بابه اذا كان الوقت يسمح بأن يفتح المترو أبوابه قبل أن يغادر المحطة , أليس ذلك أفضل من الجري لهثا للحاق بالمترو ليمسكه لك أحد المصريين " الجدعان بداخل المترو " , شيء بسيط لكن يكشف عن جوانب أخرى ليس موضع حديثها هنا, فالعديد من الأشياء البسيطة تخفى في نفسها معاني كبيرة لا بد من تأملها و استيعابها جيدا , حقا العالم كتاب كبير من لا يسافر فيه لا يري الا صفحة واحدة فقط.

الشعب التركي

الشعب التركي كما تعاملت معه طيلة أربعة أشهر شعب طيب كمجمل ليس كما تصوره لنا الأفلام المصرية القديمة على أنه قوي و متجهم و متكبر , فقد رأيت منهم أفضل معاملة و مساعدة و ترحاب عندما يعلمون أنك مسلم و ضيف و تحتاج الى المساعدة , و هو شعب كريم حقا , و يوجد لديهم عادة " الاكرام " حتي كلمة " اكرام " موجودة في لغتهم بنفس لفظهم و تعني معناها , و قد حدث لي كثيرا أن أراد الأتراك حتي دون معرفتي باكرامي و كنت غالبا ما أرفض تأديبا , و بالرغم من ذلك فهو شعب في كثير من الأحيان فضولي , حينما يعرفوا أنك غير تركي , يبدأون في توجيه الأسئلة لك , من أين أنت ؟ و لم أتيت ؟ و ماذا تدرس و أين تدرس ؟ و هل ستعود لبلدك ثانية أم ستبقى هنا ؟ و لماذا جئت الى هنا و أين تسكن ؟ الى اخر تلك الأسئلة , هم يسألونها بطيب خاطر بالطبع بغرض التعارف و كسر التليج , و لكن أحيانا يصبح ذلك غير محتمل على المرء خاصة عندما يتكرر كثيرا , و لأنني عربي الملامح , و تظهر عروبتى بوضوح من شكلي , فلم و لن أسلم أبدا من تلك المواقف .

و لكن من ميزات ذلك أيضا أن ذلك الشعب يتحمل الحاح السائح على السؤال أو الغريب عن المكان و أحيانا يتحمل "تغايبه" أيضا كما فعلت في بداية مقدمي أحيانا تجنبنا لأن أخطئ في مكان ما و خوفا من التيه , أو طلبا لراحة نفسية لا تدرك الا بكثرة السؤال .

و من المميز لهذا الشعب كما سبق و أخبرت تمسكه الشديد بلغته و اجباره غيره على التحدث بها على أرضه , اذهب الى أي محل أو مؤسسة حكومية و تحدث بالانجليزية و قلما تجد من سيفهمك , حتي في الأماكن السياحية , ليست كل الأماكن بها أشخاص يستطيعون تحدث الإنجليزية جيدا , فما بالك بالمدن الغير سياحية ؟ , فهذا فيما أظنه اعتزاز باللغة , فأنت من يجب عليك أن تتعلم لغتهم لتحدثهم لا هم من عليهم تعلم لغتك ليحدثونك ! .

و في بداية مقدمي من مصر و عندما كنت أخبرهم أنني مصري , كانوا دائما يسألونني عن رابعة و مرسى و يقومون برفع إشارة رابعة كنوع من التعاطف معي و اظهار الود , و دوما يسبون السيسي , فمثلا أخبرني أحدهم عندما قلت له أنني مصري , قال لي " سيسي شرف سيز " أي السيسي عديم الشرف , حتي زملائي في السكن و خاصة العرب , عندما كانوا يعرفون أنني مصري كنت أجد لكلمة مصري صدي مختلفا , فرابعة أكسبتنا شيئا لا أستطيع وصفه , فاننا لم نفقد احترامنا لأنفسنا أمامنا و أمامهم , و نتمسك بحريتنا الى اخر مدي , و كان هذا ما يظنونه بنا , لذا ينظرون الينا بنظرة احترام كبيرة , يا صديقي , أنا لا أو من بالقومية و تكفيني كلمة مسلم التي أسمانى بها الله عز و جل , و لا أعترف بشئ اخر فهي أسماء سميهاها لم ينزل الله بها من سلطان , و انما أحكي فقط عما حدث أمام عيني لا تعصبا مني للمصرية .

من الأشياء التي عرفتتها أيضا عن الشعب التركي , أن لا أتحدث معهم عن بعض القضايا مثل السلفية بشكل صريح , حتي لا يظنوني وهايبا فهم لا يعلمون الا القليل المغلوط عن الامام محمد بن عبد الوهاب , و كذلك أن لا أتحدث عن أتاتورك أمامهم , بالرغم من انقسام شعبهم الى شعبين, شعب يحبه و شعب يكرهه , و لكن من يدريني الى أي شعب ينتمي من أتحدث اليه , فمن يحبونه

يقدمونه تماما و لا يحتملون أن يسبه أي أحد بأي شيء مهما كان , فيه أو ليس فيه, و لكنني من حين لآخر أخرج عن تلك النصيحة , و أمارس بعض ما يحلو لي من اظهار رأيي في ذلك الملعون مدمر خلافتنا الإسلامية الأخيرة حاسبه الله بما يستحق , و لم أتعرض الى الحين لأي مشكلة الحمد لله فبدلوماسية بسيطة أستطيع تدارك الأمور دوما خاصة في نقاشاتي مع مدرسي الأتاتوركي التي سأحدثكم عنها ان شاء الله فيما بعد, و لمن لا يتخيل مدي التقديس الذي وصل اليه أتاتورك هنا , يكفيه أن يمشي في الشوارع قليلا و يدخل احدي البناءات , ليري صورته و تماثيله موضوعة في كل مكان هنا , و حتي على العملات و في كل مكان و على كل شيء قد تجده , حتي أنك حسب المصطلح المصري تخشي أن تفتح صنوبر المياه لتجده ينزل اليك منه !

و بالمقارنة مع أحوالنا في مصر حمدت الله أن السادات أزال صور عبد الناصر و الا لكننا تحولنا الى حالة شبيهة بالحالة الاتاتورية في مصر , لقد تجبر عبد الناصر كثيرا رغم إنجازاته التي جاورها بالطبع إخفاقات أكثر , و لكن أن يفرض علينا عبد الناصر نفسه حيا و ميتا فهذا الذي لا يحتمل !

من الملاحظ أيضا في الشعب التركي وجود علاقة غريبة جدا في التعامل في الشارع بين الرجال و النساء , فأنا هنا مثل في مصر لا أفضل أن أسأل امرأة عن عنوان مثلا أريد التوجه اليه , هذا نابع من بضع المشاهد التي أشاهدها كل يوم و التي أتعجب أنا نفسي منها كثيرا لأنني حتي في مصر لم أرها الا قليلا جدا لدرجة أنني لا أكاد أتذكر أنني رأيتها في مصر , فمثلا في المواصلات العامة عندما يكون هنالك رجلا جالسا على مقعد و بجواره مقعد فارغ قد تفضل المرأة أن تظل واقفة على أن تجلس بجانبه , و هذا ليس سلوك فردي , بل أراه كل يوم هنا , حتي أحيانا مع النساء غير المتحجبات ! , و التعامل بين الرجل و المرأة الذين لا يعرفان بعضهما في الشارع قليل جدا , حتي في الشارع لم نر أبدا تحرشا أو معاكسة اطلاقا , صحيح تحدث بعض الانحلالات الأخلاقية في الأماكن العامة و لكن هذا يكون برضي الطرفين مع الأسف , أما أن يحدث تحرش او معاكسة دون رضى طرف فهذا ما لم أجده أبدا , و هذا شيء يحفظ المرأة و عرضها , لتمشي مطمئنة من أنها لن تمس بسوء أبدا.

من الملاحظ أيضا بخصوص الحديث عن هذا الموضوع ثياب المرأة التركية , فالمتحجبة حقا متحجبة , حجابها شرعي سليم و ساتر و في ذات الوقت أنيق , لم أجد هنا الموضات المبتذلة التي كنت أراها في مصر , كم أتمني أن تنتقل موضة الحجاب التركي الى مصر خاصة مع البنات المصريات اللاتي يتقنن في اخضاع فرض الحجاب لأهوائهن الخاصة , فليأتين و يرين كيف يكون الحجاب هنا في تركيا, البلد التي لا يعرف أهلها العربية و لا يستطيعون فهم القران جيدا كاملا لجهلهم باللغة بالطبع و لكنهم في ذات الوقت – في بعض الأشياء – ينفذون الدين أكثر من الكثير من المسلمين في مصر و العالم العربي عموما . و تركيا ليست كما يتخيل البعض مليئة بالمتبرجات فذلك بالطبع يوجد في بعض المدن مثل انقره و ازمير , و لكن بورصة على سبيل المثال يوجد بها الكثير من المتحجبات , و في المجمال حتي ثقافتهم قريبة من ثقافتنا الإسلامية , و لن تجد الا قليلا – في الشوارع – ما يخجل حياءك أو يضايقك أو يجعلك تشعر بالغيرة علي انتهاك حرمت دينك.

و الجميل الذي أود ذكره هنا , هو أن المتحجبات في تركيا كما كتبت ذات مرة على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك " متحجبات صح " فحجابهم حجابا شرعيا كاملا , لم أري فتاة متحجبة ترتدي

بنظالا ضيقا , أو تضع ماكياج مبتذل, أو تتبرج في الشارع , و ان رأيت هذا فذاك نادر جدا , و لكن بما أنني أعيش في مجتمع المتناقضات , فقد ترى فتاة متحجبة تشرب السجائر في الشارع بصورة عادية جدا و غير ملفتة لأي شخص , و عرفت السبب وراء ذلك فيما بعد , هو أن التدخين هنا في تركيا يعتبرونه مكروها و ليس حراما كما أقره الأزهر في مصر , و بالرغم من ذلك أظن أن هذا السلوك ليس محمودا أيضا , قد يعتبرونه نوعا من الابتلاء الذي يعتبره المدخنون المتدينون أنفسهم خطأ و لكنهم لا يستطيعون التخلي عنه بسهولة.

شيء جميل أيضا لم أعلمه قبل قدومي هنا هو تمسك المصلين الأتراك الشديد بالسنة , فليس كل الأتراك بالطبع يصلون كما الحال في أي بلد مسلم , و لكن قطعاً كل من يصلون الفروض يصلون السنن النوافل أيضا ! , هم يعظمونها كثيراً لأنها سنة عن النبي صلى الله عليه و سلم و يؤمنون أنها مهمة جدا و أنها تضيف لثواب الصلاة كما هو الحال بالطبع و يتعجبون مني عندما لا أصليها أحيانا , و هم أيضا بعد الصلاة و قبلها يحافظون على تلاوة الأذكار الخاصة بالصلاة , مثل ختم الصلاة و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم.

و أحكي لكم الان عن أول صلاة جمعة صليتها في تركيا , ذهبت في صباح يوم الجمعة 27-9-2013 الى كارفور بورصة في منطقة نيلوفير لقضاء بعض الوقت هنالك , و بالمناسبة فهو لا يختلف كثيراً عن كارفور مصر و هذا شيء يحسب للشركات العالمية , و لكني لاحظت أيضا أن المطاعم العالمية هنالك سعرها أعلى من مصر أحيانا فمثلا الوجبة التي في مصر بعشرين جنيها قد تجدها هناك بما يعادل 35 جنيها أما المطاعم و محلات الطعام العادية فسعرها طبيعي و في المتناول و بالمناسبة , الشاورما هنا أكلة شعبية مثل الكشري في مصر مثلا ! عندما اقترب موعد صلاة الظهر تجولت من نيلوفير الى اجملير و وجدت جامعا فدخلت لأصلي به , كان الامام يخطب بالتركية و لم أفهم شيئاً بالطبع الا الاذان و الاقامة و الايات القرآنية و الادعية و الاذكار بعد الصلاة !

أحسست فيهم عند صلاتي معهم حبههم للتدين , فلم يمنعهم عدم فهمهم للعربية من الحفاظ على شعائرهم الدينية اذن فهو شعب متدين بطبعه ! أمزح بالطبع..التعميم خاطئ أحيانا..لكن ما عرفته لاحقا أنني وصلت مبكرا و بالرغم من امتلاء الجامع . كانت تلك فيما يبدو خطبة ما قبل الأذان..او كدرس ديني يعني.

بعدها انتهينا من الصلاة , سألت الشخص الذي أقام الصلاة ما اذا كان يعرف العربية أم لا , فأجابني انه يعرفها قليلا فسألته عن طريقي للذهاب الى المترو لأنني كنت تائها حينها فأوصلني بنفسه الى هناك, فرحت جدا من حضوري أول خطبة في تركيا و رؤيتي للأتراك و هم يؤدون فريضة الجمعة , و تيقنت من خطأ المعتقد الذي يقول به البعض : " و هل المسلمين الأجانب يعلمون عن دينهم شيئاً ؟" فبالرغم من جهلهم ببعض الأشياء الا أن الكثير منهم يعلم و يتمسك بما يعلمه من دينه أفضل من الكثير من العرب , و لكن افة بلادنا الحكم الخاطئ و التعميم مع الأسف.

من الأكلات الشهيرة جدا في تركيا والتي تعتبر الأكلة الشعبية للشعب التركي هي الشاورما "الونير" و أسعارها رخيصة الى حد ما , و هي منتشرة هنا كانتشار محلات الفول في مصر , و المشروب الرسمي لهم هو مشروب الأيران الذي هو عبارة عن مشروب شبيه باللبن الرائب و لكني لم أتذوقه بعد رغم شيوعه هنا , و لن أتذوقه في الغالب لعدم حبي لشرب اللبن سادة .

و من الجدير بالذكر عند الحديث عن المجتمع التركي هو التناقض الواضح الموجود بذلك المجتمع, الذي معه لا يمكنك تخيل كيف يعيش هؤلاء المجتمعين سويا في مجتمع واحد ! , مجتمع يعتبر نفسه "أحفاد العثمانيين" كما يطلقون على أنفسهم , و يضعون نصب أعينهم حلم ارجاع الخلافة و اعلاء كلمة الدين الإسلامي , و مجتمع اخر أتاتوركي بحت , يؤمن بالدولة العلمانية , و بابعاد الدين عن الحياة, و أن يكون الدين فقط مكانه المسجد , و حتي بعضهم لا يؤمن بوجود الدين حتي في المسجد ! , فأتاتورك المقدس لديهم , يعتبرونه محرر تركيا من الاستعمار , و يعتبره الآخرون سببا من أسباب سقوط الخلافة , و الغريب أن بعض مؤيدي أتاتورك قالوا بشكل غريب , " لولا أتاتورك لما صُلينا في مساجد تركيا اليوم لأنها كانت ستكون تحت الاحتلال الغربي " و بعيدا عن سخف هذا الادعاء حيث أغلق أتاتورك نفسه الكثير من المساجد و المدارس الدينية , دعنا نناقشه من وجهة نظر تاريخية , هل تعرف أن الصليبيين و التتار و غيرهم حاولوا احتلال دول الإسلام و نجحوا أحيانا بل و مكثوا أحيانا أخرى عقود طويلة و الأراضي الإسلامية تحت حكمهم و لم يأت من يحررها على النموذج " الكمالي " و مع ذلك قامت دولة الإسلام ثانية بل و أقوى من ذي قبل في بعض الفترات , فالحل اذن ليس في اقتلاع الجذر بل في محاولة تقويته , فوالله لعندي أن تبقى دول الإسلام محتلة و شعوبها واعيين بطبيعة المعركة لخير مما فعله أتاتورك من اسقاط دولة الخلافة و تشويه مفاهيم أجيال بكاملها عن فكرة الخلافة و حقيقتها , و والله ما دقنا الذل كما ندوقه هذه الأيام كشعوب مسلمة في كل مكان بالعالم الا بعد سقوط الخلافة و لا ينكر ذلك الا أعمى أو جاهل بتاريخ أمته !

و على النقيض تماما , من المواقف التي أسعدتني حقا , أنه حينما كنا في رحلة سياحية تابعة لمركز لغتنا , كان دليلنا السياحي السيد / فاروق كورت ذو توجه إسلامي , لم أكن أعرف ذلك بالطبع , و لكنني عرفت ذلك من بعد أن استرحت له و ناقشته بصراحة , قلت له : أريد أن أسألك سؤالا حساسا , فقال لي أسمعك , سألته : هل أنت مع الخلافة أم مع الجمهورية التركية ؟ , فأجابني إجابة رائعة لم أتوقعها قط , قال لي : أنا مسلم قبل أن أكون تركي ! , و المسلمون اخوة , فلو كان هنالك شخص مسلم غير تركي , و شخص تركي غير مسلم – حقيقة – فسوف يكون هذا الأجنبي أخي و ذاك التركي ليس أخي ! , و اسلاميتي تأتي قبل تركيتي " تفاجأت حقا بهذه الإجابة ! , لقد أسقط القومية في بضع كلمات , فتشجعت و سألته ثانية : و ما توجه الناس هنا في تركيا ؟ هل هنالك أشخاص حقا مع الخلافة أم أن جميعهم مع الجمهورية ؟ فأجابني بأن الحال هنا كمصر , في كل مكان هنالك أشخاص على هذا الجانب و أشخاص آخرون على الجانب الآخر , تخيلوا ؟ تركيا أم القومية في العالم الإسلامي بها أشخاص يفكرون على هذا النحو ! , سعدت جدا و تيقنت من وعد الرسول صلى الله عليه و سلم أن الخلافة قادمة قادمة , و الأمثلة على ذلك النموذج كثيرة فقد قابلت مثلا ذات مرة شخصا في مسجد جلس يتحدث معي و تفاخر بأبنائه الذين سيدرسون علوم الشريعة و اللغة العربية , و قال لي في نهاية حديثه أنه من أحفاد العثمانيين , حتي على السيارات , فهنالك نوعين من الملصقات أضيف إليها نوعا ثالثا مؤخرا , النوع الأول هو امضاء مصطفى أتاتورك و النوع الثاني هو ختم – شعار – الدولة العثمانية , هذا يمثل فئة من المجتمع و الآخر فئة أخرى , و أما الملصق الذي أضيف مؤخرا ليصبح أحيانا بديلا عن شعار العثمانيين هو شعار رابعة !

و على الطرف الآخر , من نماذج النموذج العلماني في تركيا , هو أستاذي في الفصل , السيد مراد , كان السيد مراد علمانيا بمعنى الكلمة , يكره اردوغان جدا , و لا يكاد يتوقف عن مهاجمته و لو بالتلميح و أحيانا صراحة , و طالما تناقشت معه متظاهرا بأنني لا أميل الى أي من الطرفين و بداخلي بالطبع فرحة عامرة عندما أرى "حرقته" من اردوغان !

و نقاشاتي مع مدرسي كثيرة , أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر , أنه في احدي الأيام قال لنا في الفصل أنه لا يحب اردوغان لأنه لا يحب أتاتورك و أنه – أستاذي – لديه موضوعين حساسين في حياته , الدين و أتاتورك و لا يسمح لأحد بالاقتراب منهما , قلت له مصطنعا المفاجأة : كيف ؟ اردوغان لا يحب أتاتورك ؟ شيء غريب ! و لكن اردوغان في خطباته دائما يمدح اتاتورك حيث دائما يطلق عليه اسم " الغازي مصطفى كمال " , فقال لي مدرسي : هل تظن أن ذلك احترام ؟ قال لي هكذا هو يحترمه قبل حرب الاستقلال , حيث كان آنذاك اسمه الغازي مصطفى كمال و لم يكن قد منح اسم اتاتورك بعد من مجلس النواب , أي أن اردوغان لا يعترف بما بعد حرب الاستقلال و سقوط الخلافة , و قال أن اردوغان يسب في عصمت انينو لكنه يسقط مسباته على اتاتورك في ذات الوقت حيث كان انينو و اتاتورك زملاء في نفس السلاح , و يتهمك أحيانا على بعض مقولات أتاتورك , و بعد انتهاء كلامه حقا احترمت اردوغان أكثر مما قبل , بالفعل كنت على اختلاف مع اردوغان قبل مجيئي الى هنا , و لكن بعد ما رأيت ما رأيت بعيني هنا فاني ألتمس له العذر بشدة و أتمني من الله أن يوقفه لما يحبه و يرضاه !

و كيف لا أحترمه مثلا و أنا أقرأ كلمات خطابه الذي مضي من عدة أيام و يقول فيه :

"نقول إلى المتعجبين لاهتمامنا بـ"سوريا" و"مصر" و"ميانمار" أننا لا نستطيع الجلوس غير مكترئين، في الوقت الذي يلتهم فيه الحريق جيراننا، الذين كنا معهم قبل 100 عام أبناء بلد واحد، قُسم بأقلام ومساطر، وإن وقفنا إلى جانب أشقائنا يدخل في إطار مسؤوليتنا التاريخية تجاههم.

"

و من هنا يتبين أن الناس حقا سينقسمان فسطاطين , فسطاط ايمان لا نفاق فيه و فسطاط نفاق لا ايمان فيه , و بغض النظر عن سياق الحديث و لكنني لاحظت شيئا ما في بلداننا الإسلامية , في الجزائر و مصر و سوريا و تونس و أفغانستان و تركيا و .. الخ , ان هنالك مجتمعين يعيشان سويا في كل دولة , كل مجتمع يفكر بشكل مختلف تماما عن الاخر , و لا يتصور بأي حال من الأحوال أنهما يعيشان سويا تحت راية واحدة , تلك الراية الهلامية المسماة بالوطن , و يؤيدان التحية لعلم سايكس بيكو الذي فرض عليهما فرضا , المجتمع الأول تجمعته فكرة الخلافة و اقامة الشريعة و العمل نحو مجتمع اسلامي رشيد و مستعد أن يبذل حياته لأجل قضيته و دينه و لا يؤمن بالقومية بشكل كبير.

المجتمع الاخر تجمعته افكار الوطنية و حب البلد و الوطن او حتى المصالح الشخصية و الذاتية .. و .. لكنه في الأغلب اما جاهل او رافض لفكرة الشريعة و الخلافة سواء أعلن ذلك أو لم يعلن فهل يتصور لأولئك أن يعيشا سويا لفترة طويلة قادمة بسهولة ؟

أم أن الطبيعي أن هنالك نقطة افتراق تأتي قريبا أو بعيدا عندما تتعارض الأهداف و النتائج مما قد يؤدي لحرب شرسة عقائدية.. ينفصل فيها المجتمعين انفصالا تاما.. لا أبيض فيه و لا أسود.. و قد ! تأتي هذه النقطة بالتدرج بالطبع.. فما من شيء في هذه الدنيا يأتي مرة واحدة .. و لكن المستخلص من هذا القول

ان واجبنا نحن كأبناء لهذا المشروع الاسلامي في الفترة الحالية هو نشر الوعي.. خاصة مع عدة توقعات أن جيلنا هذا قد يكون جيلا فارقا في تاريخ الأمة.. سواء أنزل الله على يديه النصر أو حتى .. كان جيلا مُعدا لجيل النصر المنتظر.

فبالتالي ما يهمني هو الوعي و ليس انتظار مكاسب مادية ضيقة الأفق و المدى , نشر الإسلام و قضية الحاكمية و مفهوم لا اله الا الله – الكامل – من جديد لدي كل المجتمع هو الأولوية الكبرى لنا.

و من الأشياء الغريبة التي لاحظتها و تدل على بعض التناقض أيضا , أن مثلا مدرب الجيم الخاص بي , شخص لا يصلي و حتي لا يصلي الجمعات الا قليلا , و لكن عندما يأتي صوت الأذان فانه يغلق صوت الأغاني التي يشغلها , و حتي في احدي المطاعم العالمية الشهيرة للوجبات السريعة , الموظفين هنالك في نهاية اليوم يتبادلون القبلات , و لكن عند وجود الاذان فانهم يغلقون صوت الأغاني , و قس على هذا , الكثير من الأمثلة موجودة , هو حقا مجتمع غريب الى نوع ما , يحتاج الى المكوث معه فترة طويلة لكي تتمكن من فهمه جيدا , و ملاحظة في ظل هذا السياق , لا تعتمد أبدا على المسلسلات التركية لتحكم بها على الشعب التركي !
و من الملاحظات التي عرفتتها قبل سفري , هو أنهم لا يقولون "امين" بعد صلاة الفاتحة بصوت مرتفع , بل بصوت هامس , لم أكن أعرف ما السبب , الى أن كنا في احدي المساجد و كبرنا بصوت عالي لحدوث احدي الأخبار المفرحة التي سأخبركم عنها لاحقا فقال لنا امام المسجد لا تفعلوا ذلك اننا في جامع ! , فهم يقدسون الجامع جدا و لا يحبون رفع الصوت فيه و لو بالتكبير أو قول " امين " !

و لا زلت أذكر يوم الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه و سلم و المسرحية التي حكا لي صديقي عنها التي أقيمت في الشارع من أطفال بعض المدارس تحكي عن بعض السنن المنسية أو الشبهات الإسلامية و الردود عليها , و لا أنسى أيضا حلوي " الملبن " التي تم اهداءها لي مرتين من صديقين تركيين مختلفين بسبب ذلك اليوم , و حتي الان مازلت أنتظر رمضان لأرى كيف يحتفل به الأتراك , و ما هي أجواء استقباله هنا , ما سمعته أن المواصلات في عيد الفطر تكون مجانية تماما , حقا هذا شيء جيد بالنسبة لنا كمصريين , لكن اذا قررنا تطبيق هذه التجربة في مصر فأعتقد أن الحكومة قد تعلن افلاسها بعد انتهاء العيد مباشرة !

اللغة التركية

و كان مجال دراستي في العام الأول من مجيئي هنا الى تركيا هو دراسة اللغة التركية كسنة تحضيرية للعام المقبل عند التحاقني بالجامعة باذن الله , اللغة التركية ليست صعبة و لكن عيب تعلمها هو ندرة المراجع "المحترمة" التي تعينك عليها سواء بالعربية أو الإنجليزية , و حتي ان وجدت فهي صعبة الحصول عليها عن طريق الانترنت , و كل ما يوجد على الانترنت هي مواد للمبتدئين , و قلما فعلا تجد ما يعينك في المراحل المتقدمة من اللغة , و أنا أو من أنه اذا قضيت ربع ما قضيته لتعلم الإنجليزية في تعلم التركية فاني سأحدث كسكان تركيا الأصليين ! , فلقد قضيت اثنا عشر سنة في تعلم الإنجليزية في المدرسة و لا تزال انجليزيتي متوسطة المستوى ! , أما اذا فقط قضيت أربعة سنوات لتعلم اللغة التركية فأنا متأكد أنني سأحدثها بطلاقة , و عموما لتتعلم أي لغة فلا يصح أن تقارنها بلغة أخرى , بمعنى , أننا لا نستطيع مقارنتها بالانجليزية مثلا فنقول هل هذا الزمن في التركية يقابل المضارع المستمر بالانجليزية ؟ , هذا شيء خاطئ , تعلم اللغة بلغتها , هذه تركية و هذه انجليزية ! , اذا قارنت و ظلت تقارن فلن تفلح و ستتشتت و ستحبط في نهاية الأمر , فقط اكتسب حس اللغة , و من النصائح الهامة لتعلم أي لغة عموما , قراءة الكتب و الروايات و الجرائد , و مشاهدة مرئيات باللغة المرجو تعلمها , و ممارسة اللغة بالتحدث مع أهلها .

و في ظل تفكيري في اللغات و صعوبتها , وجدت حقا أن اللغة العربية من أصعب اللغات على مستوى لغات العالم , فهل مثلا هناك لغة أخرى بها تشكيل يوضع على الحروف فيغير معني كلمة عدة معاني فقط بتغيير الحركات فوق الحروف ؟ , حتي لدرجة أن زملائي الأجانب لا يستطيعون قراءة اللغة العربية اذا كتبها بدون تشكيل ! , أقصد زملائي الأجانب المسلمين الذين ينقنون قراءة القران , و هل يوجد في أي لغة أخرى قواعد خاصة للتمييز و المضاف اليه و النعت و الحال و المفاعيل و البدل و الظروف و الاعرابات المختلفة الى اخر تلك القواعد ؟ , هل يوجد في لغة أخرى أن الجمع لا يكون له قاعدة واحدة سهلة ثابتة ؟ فمثلا في العربية لا تستطيع جمع الكلمة فقط بإضافة حرف الـ اس مثل الإنجليزية أو اللاحقة "لير أو لار" مثل التركية , فمثلا شجرة جمعها شجر أو أشجار أو شجرات , و كلمة جبل جمعها جبال .. الخ , لذا ليس غريبا أن تكون معجزة الرسول صلى الله عليه و سلم الرئيسية هي القران المعجز لأهل اللغة في ذلك الزمن.

و من المواقف الطريفة التي تحدث بسبب تعلمنا للغة و عدم ادراكنا في بداية تعلمنا لكثير من معاني الكلمات أو المعاني , أن مثلا طالب سئل من الأستاذ : " كم أخا تملك ؟ " فرد عليه الطالب " أحيانا ثلاثة " ! , و لكن لا أنكر أنني كعربي الحمد لله لدي حظ كبير أكبر من زملائي غير العرب الدارسين للتركية , حيث يوجد بالتركية حوالى أربعين في المائة كلمات عربية في اللغة , لدرجة أنني أحيانا بعد اكتسابي حس اللغة الى حد ما أقول بعض الكلمات العربية و لا أعرف هل هي موجودة أم لا في اللغة و تصبح أحيانا صحيحة و موجودة في اللغة ! , و حتي اللهجة المصرية فقد تأثرت كثيرا باللغة التركية , فكثير هي الكلمات التي نستعملها في حياتنا اليومية و لها أصل تركي , و بصورة عامة اخبرني صديقي أحمد المهدي معلومة أفادنتي كثيرا و أحببت أن أشاركها معكم :
"اللهجة العامية المصرية متأثرة بلغات كثير على رأسها المصرية القديمة والحديثة والفينيقية والفارسية والتركية واليونانية وكم ان الانجليزية والإيطالية والفرنسية .. ده غير ان اللهجة العامية هي لهجة المماليك وكانوا عجم من جنسيات مختلفة وكانوا لا يحسنوا نطق اللغة العربية ولما

وصلوا للحكم قلدتهم العوام في "عوجة اللسان" مثل نطق القاف ألف وطريقة نطق الجيم وهكذا فبقيت اللهجة المملوكية هي اللهجة الرسمية في العاصمة ومنطقة الدلتا لأن المغلوب دائما مولع بتقليد الغالب كما قال ابن خلدون في مقدمته .. وكمان أصل كلمة "أولاد الناس" كان تعبير يستخدمه المصريين للتعبير عن المماليك لانهم ميعرفوش ليهم أب ولا جد فأطلقوا عليهم اسم أولاد الناس وهو بينطوي على نوع من الإهانة .. ولكن بعد وصول المماليك للحكم وبقوا الطبقة الحاكمة " كله بقى عايز يبقى من أولاد الناس وبقيت الكلمة إشارة للطبقات الراقية في المجتمع حتي الآن

و مثال للكلمات التركبية الموجودة في لهجتنا المصرية و التي نستعملها بكثرة "برضه" و "اسطي" و "أونطة" و "طز" و "أوضة" و الكثير الذي لا يتسع لذكرها هنا المقام.

عن الغربية

عن الغربية و الاغتراب..و نار البعد عن الأهل و الأحباب..أكتب اليوم اليكم قصتي مع الابتعاد عن أهلي و أصدقائي و بيتي و شارعى و بلدى..

سألني صديقي أمس..هل حقا الغربية صعبة ؟ قلت له : تعتمد الاجابة على شخصيتك أنت ! فما الغربية و الوطن الا مفاهيم نسبية تختلف من شخص لآخر..فأرض الله واسعة..و أرض الله واحدة..فمصر أرض الله..و تركيا أرض الله..و كل مكان فى العالم هي أرض الله عز و جل.. ما يختلف هو العادات و اللغات و الدين و الثقافة ..و هذه أشياء مع الوقت قد تعتاد عليها و على اختلافها بل و التأقلم معها و اتخاذها سكنا قلبيا جديدا لك..

أسألك سؤالا.. اذا رافقت أسرتك و أصدقائك جميعا الى بلد جديد تدين بنفسك دينك و تتحدث نفس لغتك..هل ستشعر بالغربة أم فقط بافتقاد ذكريات طفولتك ؟ بعد مرور أكثر من شهرين عن ابتعادي عن مصر أكاد أؤكد لك أن ما يؤثر فيّ هو ابتعادي عن معارفي و أحبائي فقط..

و لكني أجزم لك أيضا أنني لم أبك أبدا افتقادا لمصر..ليس هذا يعني أنني عديم المشاعر..لكن قد يعني أنني أفكر بطريقة مختلفة عما نشاهده فى الأفلام أو نقرأه فى القصص و الحكايات.. و هذه الأيام بالتحديد..بعد حدوث أحداث جامعة القاهرة و الازهر الشهيرة..و مقتل صديقنا محمد رضا رحمه الله و اصابة اخرون..و ضرب قنابل الغاز داخل الجامعة و ايقاف الدراسة و استقالة رئيس الاتحاد بعد ظهوره بالتلفاز و انتقاده للانتقال و استقالة ادارة الكلية من بعدها فى تسلسل سريع غريب يجعلك تشعر بأنك تعيش بداخل فيلم غريب لا تصدق أحداثه..

المهم بعد هذه الاحداث تكاثرت الاسئلة القادمة اليّ و المستفسرة عن السفر.. يأتيني فى الاسبوع عشرات الأسئلة..و بالطبع اجيب قدر ما أستطيع..و لكن بعض أصدقائي لا يراعون مع الاسف انني قد أكون مشغولا احيانا بسبب الامتحانات او ما شابه..فأرجو معذرتكم ان لم اجيب عليكم بالشكل الجيد كما توقعتم..

المهم هذا يعكس كما كتبت بالأمس مدي يأس الكثير من الشباب من حال مصر..و لكني عكسهم أتوقع نصرا قريبا باذن الله

عندي أمل كبير فى الله عز و جل..الذي سينزل نصره علينا حين يريد عز و جل.. هذا النصر المنتظر ان لم ينزل فى حينه فلن يكون مؤثرا جدا..فتأخره لا يفلقني بالطبع..لأنني واثق أن الله لن يضيع عبادته..و لن يخذلهم..و لن يضيع دينه أبدا..

عليك أن تضع فى بالك دائما كمسلم مؤمن بالغيب ان هنالك يوم قيامة يحاسب فيه الظالم..لو كان كل الظلمة يأخذون حسابهم كاملا فى الدنيا لما طغي الكثيرون..يوم القيامة ات باذن الله..و سوف نلتقى نحن و خصماؤنا عند الله عز و جل

...

نرجع الى موضوعنا..و الغربية..هل تعتقد انك بسفرك من بلدك انك سوف تنساها..خاصة لو كنت مصريا..

بنسبة كبيرة استطيع ان اخبرك : لا..لن تستطيع نسيانها,,و ستظل تتابع اخبارها..و ستشعر احيانا برغبة كبيرة فى النزول اليها و المشاركة فى احداثها..

فنحن عندما نكون فيها نريد الرحيل منها..و عندما نتركها نريد احيانا الرجوع اليها..

و تظل دوما العلاقة الغربية بين نفسك و بين بلدك التي لا يستطيع اي منها تفسيرها..

بين مفهوم البلد و الوطن..ما هو الوطن..و لماذا نحبه..

و بين مفهوم تركه.. و لماذا أصبح مقيدا بمكان ولدت فيه !
هذا السؤال فيما اظن سيظل يطرح فى ذهن كل منا و لن يستطيع احد ان يجيب عليه اجابة تريح عقله و قلبه معا !

...

من مميزات دين الاسلام..
اننا كمسلمين ذوي ثقافة واحدة و عادات فى الاغلب واحدة و تقاليد واحدة..
فالعيب هنا عيب هناك و ان اختلفت الالسنه..و الحلال هنا حلال هناك و ان اختلفت الالوان..
تلقي اليه بتحية الاسلام فيجيبك بشوشا سعيدا برويته لاختيه المسلم الذى يجمعهما دين واحد.. و تأكل الطعام عنده مسميا اسم ربك فيتمنى لك طعاما هنيئا مريئا بنفس راضية لانك اخوه فى العقيدة..
و هذا حقا مما يخفف غربتي..فالكثير من المسلمين هنا محافظين و الحمد لله حتى و لو كان المجتمع نفسه غير محافظ..
لذا فعليك عند السفر ان تتخير البلد التي ستتوجه اليها جدا..و الا قد تتعرض للفتن..و لن ينجيك منها الا الله عز و جل..

...

بالمناسبة..الدراسة فى الغربية بعيدا عن الاهل مختلفة قليلا
لن تجد من يتابعك و يقول لك : ذاكر يا بني..قد اقتربت الامتحانات او كفاك لهوا على الانترنت الى هذا الحد..
ستصبح حرا ..و لكنها حرية قد تضرك ..او قد تشعرك بالاستقلال..ايا كان..لا تنكر انك ستفتقد صوت والدتك و هي تسألك عن أخبار المذاكرة !

و ما زلت لا أصدق أنني تركت عائلتي و أهلى و اصدقائي و ذكرياتي تركتهم هناك و ذهبت وحيدا الى مستقبل مجهول لم أستوعب بعد أنني وسط واقع لا يُعفر فيه لمن يقع فى منتصف الطريق او لمن ينسحب..من المتاعب التي تواجهني كوني قبل سفري شخص اعتمادي على الغير خاصة فى أعمال المنزل..الان لا أب و لا أم..سأفعل كل شئ بمفردي و وحدي اذن فالمهام تضاعفت عليّ و زد عليها وجوب ترتيبى لأولوياتي فى تلك البلد الجديدة كل شئ سيتغير بدءا من أصغر شئ فى حياتي الى أكبر شئ..غرقتي بها 5 أشخاص أنا سادسهمكثيرون أليس كذلك ؟ و لكن يجب على التحمل فى سبيل الهدف الأسمى باذن الله , أشعر أن الله عز و جل يجهزني لأمر ماقد أكون جنديا من جنوده , أشعر أو أتمنى..لا أعلم..و لكن أرجو ذلك من الله عز و جل أن يستخدمنا و لا يستبدلنا , أرجو أن اكون ذا قيمة فى حياتي و بعدها..و ألا أصبح مجرد رقم ينقص من تعداد البشر بعد وفاتيأن يقولوا رحل هذا و ذاك أثره ..من المواقف التي احترمها كثيرا فيهم و تعجبت منها أيضا..أنه أثناء ركوبي احدي الباصات للانتقال الى السكن , كنت أحملثلاث حقائب كبيرة و حقيبة لاب توب , و كان الباص فارغا فى بداية ركوبي له فوضعت شنطة منهم على مقعد بجانبالمهم امتلأ الباص مع مرور الوقت و لم أشعر أن الكثير يقفون و لم يطلب أحد مني أن أضع الحقيبة على الأرض ليجلس هو..حتى النساء . ضحكت فى نفسي ..بالتأكيد الوضع هنا ليس ملائكياو ليست تلك المدينة الفاضلة و لكنها أيضا ليست مدينة الشياطين كما يتخيلها البعض , و أي شئ قد يتهم المصريون فيه الأتراك بفعله فيوجد بعض المصريين ممن يفعلون أبشع مما يفعله الأتراك !الأتراك بعض فئات شعبهم بهم انحلال أخلاقى..فى مصر كذلك يوجد انحلال أخلاقى فى بعض الفئات اذا فلنصلح انفسنا اولاً قبل القاء التهم على غيرنا..رمتني بداءها و انسلت !و لنلم انفسنا لأننا عرب و القران بلغتنا و لم نتعظ أو نعتبر به,,أما هم فقد لا ألومهم كثيرا أو حتى أعطيهم عذرا الى حد مالأن الكثير منهم جهلاء بالفعل..و الكثير منهم لو علم الحق - كما اظن - لاتبعه و لنلم انفسنا أيضا لأننا

اكتفينا بنقدهم و لم نحاول أن ندعوهم الى الحق بالمناسبة كل الدول الاسلامية أكثر اهتماما منا بالقضايا الاسلامية أكثر من المصريين! المصريين و العرب فى المجلد مع بعض الاستثناءات أقل المسلمين اهتماما بقضايا اخوانهم المسلمين رأيت كم التعاطف و التظاهر من أجل اهل مصر و "رابعة" من العديد من الدول الاسلامية و غير الاسلامية حتى! أخبرني ماذا فعلنا نحن للمسلمين فى فطاني و تركستان الشرقية و الأحواز و التبت و أفريقيا بوجه عامو ألبانيا و غيرها و غيرهاو كما قال الشيخ عبد الله الأثري الشعب التركي لا يقتنع بالأفكار الجديدة بسهولة و لكنه اذا اقتنع بها فمن الصعب أن يتركها.

لا أعلم لماذا؟

و أنا أتابع أخبارها أريد الخروج منها و عندما خرجت أجد مقاومة فى داخلى تتحرك بقوة ..فسألت نفسي ما هو الوطن؟

هل هم الاهل و الاصدقاء أم المنزل و ذكريات الصبا و الشباب أم مجرد قطعة من الأرض؟
حقا لا أعرف معنى كلمة وطن..و لكن ما اعلمه تماما انني جزء من ذلك الوطن و أنني برحيلي عنه فقدت جزءا مني و لكن فى نفس الوقت فانه بسفري الى بلدان جديدة فقد اكتسبت أجزاءا اخرى قد تعوضني عن ذلك الجزء الذى فقدته

نعم , فكلها أرض الله عز و جل و أنا لا اعترف بالقومية كما ذكرت من قبل..

...

أيامى فى بورصة

الرحلة الأولى

بورصة الخضراء , المدينة التي عشقتها , و حمدت الله أن اختارها لي لأكمل بها دراستي , فأنا أفضل بورصة عن باقي المدن الأخرى بتركيا , حتي إسطنبول و أنقرة التي بهما أفضل الجامعات التركية على الإطلاق مثل جامعة الشرق الأوسط و إسطنبول التقنية , بورصة أحسست بها أنني أعيش حقا في مدينتي الثانية بعد القاهرة , لم أشعر بالاختلاف كثيرا في الحياة اليومية و المجتمعية كما ذكرت من قبل , لذا فمنازل أسبوع قررت أن أتجول بها و أستكشفها مكانا مكانا , و مع ذلك الى الان لم أنتهي من زيارة كل الأماكن السياحية الموجودة بها الا أنني قمت بالطبع بزيارة أهم الأماكن السياحية التي يعرفها الجميع, أما المتبقى فهي في الغالب أماكن سياحية و لكنها غير معروفة الا لدي قلة قليلة من السياح , و أكاد أجزم أن العرب لا يعرفون عنها و لا يسمعون عن تلك الأماكن مطلقا من خلال بحثي على الانترنت و رؤية تجارب الآخرين السياحية في بورصة.

في يوم الثامن و العشرين أي بعد أربع أيام تقريبا من وصولي قررت أن أذهب برفقة صديقي رامون و أحمد في جولة سياحية سريعة في بورصة , و كان غرض نزولنا الأساسي زيارة المسجد الكبير ببورصة "أولو جامي" , المسجد الكبير من أهم المساجد الموجودة ببورصة بل بتركيا بل كما يقول الأتراك " هو خامس أهم مسجد في العالم أجمع ! " بُني بأمر من السلطان بايزيد الأول بين عام 1396 و 1399 ميلاديا و للمسجد عشرون قبة تحملان حكاية عجيبة طريفة بين طياتها, إذ أن السلطان وعد ببناء عشرين مسجدا اذا انتصر في معركة نيكوبولس التي انتصر فيها الجيش الإسلامي بقيادة السلطان بايزيد على جيش تحالف مكون من الجيوش المجرية و البلغارية و الفرنسية و الألمانية و غيرها . و انتصر العثمانيون و تم بناء تلك القبة العشرين بدلا من العشرين مسجدا الذي وعد السلطان ببناءهم , و يتوسط المسجد أيضا نافورة لها حكاية عجيبة , ذلك أن السلطان عندما أراد بناء المسجد على المساحة الضخمة التي خصصها له , كان يشتري الأراضي من ملاكها بغرض بناء المسجد عليها و لكن كان هنالك بيت تمتلكه سيدة يهودية رفضت بيع بيتها و بناء المسجد عليه لرفضها أن يصلي أحد على أرض بيتها , فما كان من السلطان الا أن وعدها أنه سيتم بناء نافورة في الأرض التي يشغلها بيتك و لن يصلي في هذا المكان أحد , و بالفعل أوفي السلطان بوعدده و لم يصلي أحد على هذه الأرض الى الان !

ركبنا المترو و نزلنا في محطة شهري كوستو و فوجئنا بتمثال عثمان غازي مؤسس الدولة العثمانية أمامنا مقابل لمخرج المترو , و سألنا على مسجد أولو جامي فدلنا المارة أن علينا تخطي السوق أولا و سنجد في أخره على اليسار المسجد , دخلنا السوق الذي يشغل مساحة كبيرة جدا , حيث يتفرع الى عدة أسواق داخلية مثل السوق المغطي و السوق الطويل و عدة أسواق أخرى جانبية , و بعد دخولنا الى السوق , لفت انتباه صديقي رامون المسيحي محلا يبيع الطرح و العبايات وكان بالمحل رجل كبير في السن فسأل رامون من أين أنت ؟ فقال رامون أنه من رومانيا فرحب به الرجل ترحيبا عاديا , ثم سألني أنا و صديقي أحمد و أنتم ؟ قلنا له من مصر , فوثب الينا و رحب بنا ترحيبا فائقا و مكث يحكي لنا عن حبه لمصر و أنه ذهب الى مصر – على حد ما فهمنا لضعف لغتنا حينذاك – و سمعنا منه بعض الكلمات مثل "صعيدي" , و من كرم و طيب ترحاب هذا الرجل طلبت منه أن التقط صورة تذكارية معه , فوافق , فرفعتها بعد عودتي على الفيسبوك لتبقى للذكرى.

تخطينا السوق , و ها نحن أمام المسجد العظيم , المسجد الكبير ببورصة , أتخيل نفسي الان أقف أمام احدي أقدم المساجد بتركيا , أتخيل نفسي أعيش في وقت بناء هذا المسجد , أو وقت إقامة أول صلاة فيه , المسجد ضخم و رائع بمعنى الكلمة , يمتلك سلالم رخامية عالية , عليك صعودها أولا لتتمكن من دخوله , و من الواضح أن هذا مفهوم فلسفي في بناءهم للمساجد فدوما يجعلون مكانها مرتفعا عن بقية الأراضي , وجدنا أمام المسجد مكان للشرب و الوضوء , شربنا منه الماء و التقطنا بعض الصور , ثم دخلنا المسجد , و عند دخولي المسجد خطف بصري جماله و عبق تاريخه , و النقوش الخطية المنقوشة على جدرانه حيث بالمسجد حوالى 192 نقش خطي مرسومة بواسطة أروع الخطاطين , المسجد مبهر حقا , و صوت المياه الخارجة من النافورة مع ضوء الشمس الداخلى الى المسجد من الفتحة الزجاجية الموجودة أعلى المسجد ليعطيك إحساسا يعجز قلبي عن كتابته , جلسنا هنالك قليلا , ثم قررنا أن نهيم في الشوارع و نمشي وراء الزحام لنتجه الى مكان لا نعلمه بعد , و بالفعل خرجنا , ومشينا بلا هدف , لنجد أنفسنا قد وصلنا الى شارع أتاتورك و تركنا على يسارنا جامع اورهان غازي الخليفة الثاني بعد عثمان , و تناولنا الأيس كريم من احدي المحلات المشهورة , و تابعنا طريقنا نحو ميدان هيكل لنجد متحف مدينة بورصة على يميننا و تمثال اتاتورك أمام المتحف , تركناهم و تابعنا أيضا طريقنا لنجد محلا يبيع الحلويات الشرقية لنتشري كمية صغيرة من بلح الشام و البقلاوة , لنتناولها في الطريق بعد أن رفض صاحب المحل جلوسنا على المائدة الموجودة بداخل المحل و لا أعلم السبب الى الان ! , ثم تابعنا طريقنا لنجد مكتبة بورصة الكبيرة على يسارنا , و نظل نمشي و نمشي دون حتى أن نعرف الى أين سينتهي طريقنا , و هذا النوع من الرحلات أحبه كثيرا , حيث تجد أماكن لا تتوقع رؤيتها اذا خطت للرحلة من قبل , فنجد في طريقنا شارعا مثيرا يسمى بالشارع الأخضر , يا ترى ماذا بهذا الشارع ؟ لندخله اذن ! عند دخولنا في هذا الشارع وجدنا على يسارنا متحفا للفنون الإسلامية , و دخوله كان مجانيا , بالمناسبة , في بورصة معظم الأماكن السياحية مجانية أو ذات سعر زهيد جدا لا يتعدى واحد ليرة , دخلنا ذلك المتحف الذي يضم العديد من الأعمال الفنية التي تمت في عهد العثمانيين مثل السيراميك و النحت على الأخشاب و نماذج " الاراجوزات " القديمة المسماة أو المجسدة بشخصيتين شهيرتين جدا هنا هما "كاراجوز" و "هاجي فات" بالإضافة الى بعض المخطوطات القديمة و مصحف ضخم الحجم يعود الى القرن الرابع عشر بالإضافة لنماذج من الأسلحة , و أدوات المطبخ القديمة , و حتى المتحف ذاته متخذا مكانا رائعا يشبه القصر ليكون عليه هذا المتحف , خرجنا و لم نطل زيارتنا في هذا المتحف رغبة في ألا يحل الظلام قبل أن نزور أماكن أخرى قد تكون جذابة في ذلك الشارع الأخضر ! , و ما ان خرجنا حتي وجدنا أمامنا مجموعة من المباني الملونة ذات الطابقيين التي تحملان طابعا مميزا يعجب كل من يراه , و بجانب تلك البيوت سوق الحرير المشهور , حيث أن حرير بورصة المميز له شهرة كبيرة جدا , و يأتي السياح من كل مكان ليشتروا تذكارات أو هدايا من هذا البيت , وجدنا سلالم صخرية مقابلنا , صعدهاها و وجدنا بعدها مبني ملون بالأخضر و الأزرق ممزوجا بالأبيض و له قبة و هذا المبني هو التربة الخضراء , و يوجد بهذه التربة السلطان محمد الأول و أزواجه , و قد قمنا بعمل فيديو بداخل هذه التربة موجود علي صفحة " مغترب في تركيا " على الفيسبوك لمن يحب أن يراه , و لم نمكث طويلا أيضا بداخل التربة , فخرجنا و وجدنا أمامنا منظر رائع مطل على مدينة بورصة و صادف ذلك المنظر أن الوقت كان وقت الغروب , و كانت المشكلة التي تواجهنا , أننا سرنا مع الزحام الى أن جننا هنا , و لكن كيف نرجع الى سكننا الان ؟ , هي مملة بعض الشيء أن نرجع

بنفس طريق مجيئنا , اذا أصلا عرفنا من أين كان مجيئنا ! , فقد كنا هائمين , وجدنا بعض الأتراك فسألناهم عن أقرب مترو , فقالوا لنا تعالوا معنا , فمشينا في بعض الشوارع الجانبية , و كان الليل قد بدأ في الظهور , و خرجنا الى شارع رئيسي كبير , فأشاروا لنا الى محطة تظهر في الأفق , ركبنا منها المترو , و اتجهنا الى سكننا بعد يوم ممتع , يعتبر هو أول رحلة نقوم بها في بورصة و لن تكون تلك الرحلة الأخيرة بالطبع.

رحلتنا مع مركز اللغة

قام مركز اللغة (التومر) بتنظيم رحلة سياحية مجانية لنا للتعرف على اثار مدينة بورصة , و على أماكن الجذب الموجودة بها , و التي بها تعرفت على السيد فاروق كورت الذي سبق ذكره , بدأ يومنا مبكرا , ذهبنا أولا الى مجمع المرادية الذي أسسه السلطان مراد و الذي يحتوي على جامع المرادية أو المسمي بال "هودفينديجار" و مدرسة دينية و حمام تركي و 12 مقبرة , و بداخل المسجد المصمم تصميمًا هادئًا , أحسست بشيئا من الراحة , وددت لو أنني جلست فيه الكثير من الوقت , لكن الوقت المخصص لزيارته لم يكن كبيرا , أخبرنا المرشد السياحي أن المسجد كان بداخله حديقة و تم ازالتها فسألته عن السبب فقال لي ليسع المزيد من المصلين , فقلت له و لكن لماذا لم يتم تركها لتضفي للمزار السياحي المزيد من الجمال , فقال لي : العبادة أهم من السياحة.

اتجهنا بعد ذلك الى الشجرة التاريخية التي يبلغ عمرها حوالي الستمائة و ستة عاما و ارتفاعها حوالي خمس و ثلاثون مترا , و قطرها حوالي ثلاثة أمتار , و محيطها ثلاثمائة و عشرون مترا , و مكثنا هناك نلتقط الصور , و رأي صديقي فيما حكي لي فيما بعد أن هناك جزء خلفي من الشجرة يسجل عليه العشاق أسمائهم تخليدا لذكراهم , و يوجد أمام الشجرة كافي مفتوح ليشرب فيه الزائرون المشروبات الساخنة و الباردة تحت ظل تلك الشجرة التي كانت هنا منذ أكثر من ستمائة عام , و ستظل هنا الى أن يشاء الله عز و جل.

و عند خروجنا من موقع الشجرة و نزولنا الى حيث موقع باصنا الخاص , اشتريت بعض التذكارات من المحلات الصغيرة الموجودة هناك , و لأن موقع الشجرة مرتفع في الطريق المرتفع الواصل الي قمة جبل الاولوداا , فأبهرتني منظر الشجر و اللون الأخضر على الجبل , و ظننت نفسي لأول وهلة في الأندلس, و لست وحدي بل حتي زميلتي الرومانية فكرت بصوت عال و قالت : " و كأننا في اسبانيا ! " , المنظر من أعلى مبهر فوق ما تتصورون , فما أجمل أن تنظر الى المدينة و الى البيوت و كأنها أجرام صغيرة , و تنظر الى اللون الأخضر المختلط بألوان الزهور و كأنها لوحة فنية مرسومة باتقان.

اتجهنا بعد ذلك الى متحف "كاراجوز" الخاص بالعروض المسرحية المسماة عندنا في مصر "اراجوز" , وصلنا قبل بدء العرض المسرحي بدقائق , جلسنا نستمع الى العرض الذي كان بالتركية , فهمت بعض الكلمات , و لم أهتم بأن أستمع بتركيز الى بقية العرض , ثم صعدا الى المتحف بالطابق الأعلى لنري الدمى التي استخدمت في الماضي بالإضافة الى جريدة "قرة كوز" التي كانت بمثابة مجلات الأطفال في زمننا الحالي.

تركنا المتحف و اتجهنا الى خانة "بالي بيه" لتتناول وجبة الغداء , و تناول الجميع وجبة الكفتة و هي عبارة هنا عن كرات من اللحم المفروم موضوع بجانبها العديد من المشهيات , و لأنني لا أحبها فطلبت بدلا منها الدجاج البانيه , مكثنا نتناول الطعام و نتبادل الحديث مع الأصدقاء العرب الذين تعرفنا عليهم حديثا , حيث كانوا يدرسون معنا في نفس المركز , و لكنهم ليسوا طلاب منح , و لهذا السبب لم نكن نعرفهم , و بعد ان انتهينا من الطعام , صلينا الظهر في مكان بداخل الخانة مخصص للصلاة , و بعد الانتهاء اتجهنا الى "توب خانة" لنرى برج الساعة الذي شيده بداية السلطان عبد العزيز ثم أكمله بعد بعض الإصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني , و من أمام برج

الساعة وجدنا المدافع التي كانت تستخدم لإعلان وقت الإفطار في رمضان بضرب كرات من القماش في وقت الإفطار , و أمام برج الساعة مسجد و ضرائح ضحايا احدي الحروب التركية المعاصرة.

بعد ذلك اتجهنا الى متحف أتاتورك الذي كان يحتوي علي بعض الأدوات الخاصة به , و الذي حدث به احدي المواقع الطريفة , كان صديقي رامون الذي سيدرس معي العمارة باذن الله يعبر عن عمارة هذا القصر الصغير الذي أقيم به المتحف فقال بصوت عالي : "سى" و كان يقصد المتحف , فرد عليه أحد الأتراك الموجودين ظنا منه أنه يريد بها أتاتورك : "نعم , هو – اتاكورد- و ليس اتاتورك" و لايضاح معناها , و جب عليّ أن أشرح لكم أن كلمة أتاتورك أصلا تعني أبو الأتراك و هو لقب منح لمصطفى كمال بعد الانقلاب الذي أقامه على الدولة العثمانية , فبالثالي أتاكورد معناها أبو الأكراد و هي تحمل هنا احدي معنيين في ظني : الأول أنه لا يمت للأتراك بصلة حيث أنه أصلا ليس تركيا أصيلا حيث أبويه ليس كلاهما أتراك , أو الآخر أنه أبو الإرهابيين حيث يصف البعض الأكراد هنا بالارهابيين لمحاولتهم الانفصالية أحيانا.

و بعد كل تلك الجولة انتهت رحلتنا الى هذا الحد , و كان أكثر ما أعجبنى في تلك الرحلة شيئين : الأول تعرفي على أصدقاء جدد , و الاخر هو زيارة أماكن في بورصة ما كنت لأزورها وحدي اما لعدم معرفتي بها , أو لمعرفتي بها مع انعدام معرفتي بكيفية الوصول اليها عن طريق المواصلات العامة , اذا سألني أحدكم و لماذا لا تستقل تاكسي ؟ أجيبه بنصيحة سمعتها و أكررها : " اياك أن تتركب تاكسي في تركيا ! " , و هذا بسبب أن الوقود في تركيا حقا غالي جدا , فاللتر سعره المتوسط أربع ليرات و نصف الليرة , أي ما يعادل ستة عشر جنيها ! و لهذا السبب فان سيارات الأجرة الخاصة (التاكسي) حقا باهظة الثمن هنا.

حدائق بورصة

و لأنها بورصة الخضراء , فمن الطبيعي أن تسميتها كذلك جاءت من كثرة المساحات الخضراء المتوافرة بها , و من الطبيعي أن قمنا أنا و أصدقائي – أو حتي مع أخي عندما جاء لزيارة بورصة – بزيارة لبعض تلك المساحات الخضراء المتمثلة مثلا في حدائقها , يوجد في بورصة العديد من الحدائق ذات المساحات الكبيرة , و لكن تعتبر حديقة الثقافة – كولتور بارك – أول حديقة ذات مساحة كبيرة أزرها ليس في تركيا و حسب بل في حياتي , و التي تشغل مساحة 339 ألف متر مربع ! , الحديقة كبيرة جدا بالطبع و أن نتجولها كلها ليس بالسهولة الممكن تحقيقها , و لكننا حاولنا أنا و صديقي أحمد أن نتجولها قدر المستطاع , و زرنا بداخلها متحف الاثار الذي يحتوي على العديد من الاثار و العملات التي يرجع بعضها الى العهد اليوناني و الروماني , و مما يميز حدائق بورصة بوجه عام هو الهدوء , الهدوء التام , لا شيء سوي صوت الهواء و الطيور و صوت المياه ان جاورت بحيرة أو نافورة , الجو هنالك حقا مشجع لفعل أي شيء , الكتابة , الاستلقاء و الاستراحة وسط المساحات الخضراء , التأمل , أي شيء , حتي اذا ذهبت وحيدا , فسوف تؤنسك الطبيعة الموجودة هنالك , و لكننا للأسف أيضا لم نمكث هنالك طويلا , لأن المساحات الخضراء في ظننا تشبه بعضها , و لم يكن لدينا مزاج آنذاك بعد اليوم الدراسي المتعب أن نمكث و فقط , كان لدينا الحماس لفعل شيء اخر أكثر حركة و تحمس , لذا قررنا مغادرتها , على أمل أن نذهب اليها وقتا اخر يوما ما .

و لكن بعد أن تعرف أن هنالك حديقة أخرى في بورصة تشغل مساحة 400 ألف متر مربع , بها ثلاث بركات مياه مبهرة , و تسكنها العديد من أنواع الزهور و الورود المميزة , و العديد من الحدائق المصممة على طرز عالمية , مثل الحديقة اليابانية و الإنجليزية و الفرنسية , بعد أن تعرف كل هذا فأعتقد أنك ستتحمس لزيارتها في أقرب وقت ممكن , انها بوتانيك بارك , استغلينا أنا و أخي وقوع الحديقة بجانب حديقة حيوانات بورصة و خططنا لزيارة مزوجة تجمع هذين المكانين , و لكنني بالرغم من كل ما ذكرته من قليل , أحببت حديقة حيوانات بورصة أكثر , بالرغم من أن مساحتها أصغر بالطبع من بوتانيك بارك , لكن بجانب تعدد حيواناتها فهي تحتوي على الأسود و النمور و الزراف و الغزلان و القروود و الطيور و الدببة و حيوانات أخرى , الا ان ما أعجبني هو عدم احاطة تلك الحيوانات بالأقفاص السخيفة التي تشعر الحيوان أنه داخل سجين , بل مثلا رأيت الحمار الوحشي و قد أفرد له مساحة كبيرة يتجول بها و فقط سور بسيط تستطيع الاستناد اليه و غير مغلق من الأعلى ليشعرك أنك بداخل غابة أو حديقة حيوانات مفتوحة مما يعطيك متعة أكثر برؤية الحيوانات على بعد حقيقي منك , و ليس بينك و بين الحيوان أي أقفاص تمنع متعة الرؤية , و تشغل مساحة حديقة الحيوانات نصف مساحة بوتانيك بارك أي 200 ألف متر مربع و قد افتتحت للجمهور عام 1998 , بالطبع عند قياس المساحة فان حديقة حيوانات الجيزة أكبر , و لكن عند قياس نظافة الحديقة فلا وجه للمقارنة , على الاطلاق ! رغم أن تلك الحديقة لا تقع في العاصمة و لا في أكبر مدينة بتركيا , و قد لا تكون الحديقة الأكبر في تركيا , لا أعلم , لكن ما أعلمه أنا حتي لو قارناها بحديقة الجيزة لاتسع الفرق و بان مع الأسف , و هذا كله يرجع الى عدم اهتمامنا بنظافة حديقة حيوانات الجيزة رغم قيمتها التاريخية.

و من الحدائق التي زرتها أيضا هي حديقة ميرينوس الواقعة بجوار مركز أتاتورك الثقافي , و هي حديقة كبيرة و لكن ليس بها أي شيء مميز عن سابقتها , و قد كنت زرت مركز أتاتورك الثقافي الضخم في حفل استقبال الأجانب الموجودين ببورصة , و الذي كان مقاما للترحيب سواء بالطلبة أو المقيمين الأجانب ببورصة , و الذي ضمت فقراته فقرات غنائية , تخللها مقطع غناء أوبرالي , حدث فيه موقف طريف , كان الجميع يستمتع و يستمتع بالغناء , عدا الطلاب العرب الذين لم ينقطع ضحكهم على غناء السيدة الأوبرالي , دائما يرفع رأسنا العرب في المحافل الدولية.

و من الحدائق التي زرتها أيضا الحديقة الموجودة بمركز (جاذب) المتواجدة بالقرب من سكننا , و الموجود بها حديقة أسماك صغيرة , و ساحة لل (سكاتينج) و ساحات للجلوس , و مسرح صغير لاقامة العروض الفنية , و لكن أكثر ما أعجبنى في ذلك المكان هو ارتفاعه مما يسمح لك برؤية الطبيعة الساحرة من موقعك المرتفع بصورة أكثر اتضاحا , و بالاستمتاع بالاحساس بالقرب من الجبال الخضراء ذات الزهور و البيوت الملونة ذات الإيقاع المتناغم و التناسق الجذاب مع السماء الزرقاء الهادية أحيانا أو المتشجرة مع الغيوم الكثيفة.

رابعة بلات فورم

دعينا أنا و صديقاى المصريين الى مؤتمر مقام في بورصة خاص برابعة للحديث عن القضية و نشرها و التي كان ملقيا الندوة الرئيسية بذلك المؤتمر صديقنا المصري أحمد يوسف الذي كنت قد تعرفت عليه عن طريق الانترنت عن طريق مجموعة الطلاب المصريين في تركيا على موقع الفيسبوك و كانت تلك المرة الأولى التي أقابله فيها هنالك و شخص تركي اخر كثير التحدث أخذ من وقت صديقنا المصري الذي جاء من مدينة أخرى خصيصا للتحدث بصفته ممثل جماعة الاخوان المسلمين بتركيا , حضرنا المؤتمر الذي أقيم في احدي مراكز الثقافة الأثرية المسمى باورديكلي الذي كان سابقا عبارة عن حمام تركي يوم 4 يناير 2014 , أربعة , مؤامرة أليست كذلك ؟

ذهبت بصحبة صديقاى المصريين , و انضم الينا صديق مصري ثالث اسمه احمد كان قد أتى الى تركيا مؤخرا ليدرس اللغة التركية على حسابه و ليعمل في نفس الوقت , و هو شخص طيب و خدوم و ساهم في ادخال السعادة الى قلبي عندما أتى , و السبب هنا طريف , هو أنه في مرته الأولى عندما جاء الى مركز اللغة ثم عاد الي مصر مرة أخرى ليرتب أوراقه و أموره و كان يتوجب عليه المحي مرة أخرى , طلبت منه أن يأتي من مصر بشئ خاص جدا , ألا و هو مسحوق عصير السوييا و التمر هندي المصريين الشهيرين , قد اشتقت اليهما كثيرا , فتلك العصائر التي كنت أشربها كثيرا في مصر لم أذقها منذ ثلاثة أشهر ! , و بالفعل أتى و معه كمية لا بأس بها من تلك العصائر و قمنا كمصريين بعمل حفلة عصير احتفالاً بمشروب السوييا مرة أخرى !

نرجع الى موضوعنا , ذهبنا سويا الى المكان المقصود بنزلنا في محطة مترو ديمرتاش باشا, نعم نطقها الصحيح ديمرتاش بالتركية و ليس دمرداش , و وجدنا المركز امامنا مباشرة , لندخله و نفاجئ بروعة ذلك المكان الأثري و بدخولنا للقاعة لنفاجئ أيضا بروعة التنظيم و الديكور , و جاء الضيفان بعد قليل من انتظارنا , و قام المنظمون بتشغيل أغنية " أخي أنت حر " بانشاد يحي حوي و المسماة بأغنية رابعة , و تشغيل خطاب البلتاجي المترجم الى التركية لابنته , و بعد تأثر المستمعين و المشاهدين و تشغيل أغنية أخي أنت حر وراء السدود مرة أخرى فوجئت بصوت يعلو " الله أكبر" و يرفع معه علم مرسوم عليه علامة رابعة كانوا قد وزعوه على الحضور , و كان هذا الشخص مصري يعمل في بورصة و لكني لم أكن أعرفه و لكنني اعتبرت هذه الحركة التي قام بها سواء لم يقصدها أم افتعلها " أفورة" , قد يكون احساسى هذا طبيعى بالنسبة لشاب مثلي , فالموقف لم يكن يستدعي هذا التصرف "الأوفر" من وجهة نظري , و لكن ما علينا , استمرت الندوة و بعد الانتهاء منها قابلنا صديقنا أحمد و ظللنا نتحدث سويا لبضع من الوقت ثم اقترحنا عليه أن نتناول العشاء سويا , فوافق , فأخبر رجلين تركيين بأنه ينوي العشاء معنا , فعرضوا علينا أن يتكفلوا بعزومتنا و ذهبنا الى مطعم كفتجي يوسف واحد من أشهر مطاعم بورصة , و تناولنا هنالك وجبة رائعة على حساب هذين التركيين و قد نالت تلك الوجبة استحسان الجميع لدرجة أن أحد أصدقائنا قال من تأثره بالوجبة مزاحا عندما قال له التركي نتمنى أن تصبح الأوضاع جيدة , فرد صديقنا : جيدة مثل الكفتة .

بعد الانتهاء من الطعام , أوصلنا صديقنا الى الاوتوجار ليأخذ الباص الذي سيتجه به الى مدينته , و رجعنا نحن الى وسط المدينة في حدود الساعة الثانية عشر , و لأن الدخول الى السكن مسموح به الى ما قبل الثانية عشر و بعد ذلك يتم تطبيق جزاء على التأخير , فقررنا طالما أنه في جميع

الحالات سوف نتلقى الجزاء , أن نتجول قليلا في شوارع بورصة ليلا , الجدير بالذكر أن شوارع بورصة ليلا نائمة , فيبورصة تنام مبكرا , قد تمشي في الشارع في الساعة التاسعة و النصف مساء فتجد العديد من المحلات مغلقة , و السيارات في الشارع قليلة في أماكن ما , و في أماكن أخرى الحركة أكثر ازديادا و لكن ليس بدرجة كبيرة , أما في مثل حالتنا في الساعة الثانية عشر , فتستطيع أن تعد الأشخاص و السيارات في أكثر شوارع المدينة حيوية ! كما أننا لم نتجرأ على المشي في الشوارع الجانبية خيفة حدوث ما لا يحمد عقباه , و بعد ذلك ظللنا نتجول الى أن قاربت الساعة حدود الثانية , فقررنا أن نستقل وسيلة مواصلات لنذهب الى سكننا , و لكن أي وسيلة مواصلات موجودة الان؟! المترو أغلق أبوابه , الباصات لا نراها في الشارع , اذن لا حل سوى الدولمش , و لكن هل هنالك دولمش يوصلنا الى سكننا موجود الى هذه الساعة ؟ .

ذهبنا الى موقف الدولمش لنجد عدة دولمشات منها دولمش ينزلنا على أول شارع سكننا لنمشي بعدها مسافة حوالى سبع دقائق فوافقنا مضطرين و ركبناه , ليطلب منها أجرة إضافية حيث قال أنها " التعريفية الليلية" ! , لم أكن أعرف هل هو استغلال السائقين أم فعلا هنالك قانون بذلك , و لكنني لم أجد شيئا يسمى بالتعريفية الليلية في لوحة الأسعار المعلقة في الدولمش , فرفضت دفع الأجرة الإضافية لكرهي ذلك الاستغلال وقلت لصديقي المصري من الأفضل المشي على الأقدام خيرا من الوقوع في ذلك الاستغلال , حتي و ان كان ماديا ذو قيمة بسيطة و لكنه معنويا بالنسبة اليّ يمثل شيئا كبيرا , فعندما وجدنا بهذا الشكل قرر السائق تخفيض ذلك الاستغلال الى حد ما أو تلك التعريفية المسماة بالتعريفية الليلية , فوافقنا و ركبنا و وصلنا بالفعل الى السكن متأخرين , و كالعادة عند البقاء الى وقت متأخر في الليل بالخارج في الشوارع فان الرغبة في الضحك و "التهيبس" كما نطلق نحن المصريين تكون أكبر , فكان ذلك اليوم بالنسبة اليّ من الأيام التي أردت الكتابة عنها , فهو يوم حقا لا ينسى , و لكن السؤال الذي يدور في خاطري الان و لم أتوصل الى الإجابة عنه الي الان هو شيء , هذان التركيان اللذان عزمنا على تلك الوجبة , كانا من أعضاء "الأك بارتى" أي حزب العدالة و التنمية الذي ينتمي اليه اردوغان رئيس الوزراء التركي , هل بعد هذه العزومة سيتم اتهامي بتلقى تمويل تركيا ؟

مودانيا الجميلة

مودانيا , مدينة في بورصة , تقع على بحر مرمره , تبعد عن وسط مدينة بورصة بحوالي أربعين دقيقة فقط , و بها يقع ميناء (بودو) الذي تستقل منه الأتوبيس البحري المتجه الى إسطنبول , و هي مدينة صغيرة جميلة تتميز بمبانيها القصيرة المكونة من طابقين على الطراز العثماني , الملونة بتناسق مكون من تناسق ألوان المباني بعضها البعض بالرغم من اختلاف ألوانها , و كان بناءها اتفقوا على ألوانها سويا قبل بنائها , و هي تطل على البحر مباشرة أي بلا شاطئ , أتخيل تلك البيوت التي ترى البحر مباشرة – كمصري – كم يبلغ سعر المتر بها ؟

و ما أروع رائحة البحر و سماع طيور النورس و هي تغرد مع صوت المد و الجزر في سيمفونية موسيقية طبيعية رائعة , و ما أروع شاطئ البحر المطل على الجبل المنير بأضواء البيوت المبنية بين صخوره , و ما أجمل الجري تحت المطر و أنت ترى كل ذلك أمامك , انه استرجاع لطفولتك المفقودة وسط انشغالات ذلك الزمن السريع , بالكاد تجد فرصة تلوح أمامك تدعوك لأن تسترجع فيها طفولتك , فيكون تركك لها لا يعتبر نوعا من الحكمة أبدا أبدا !

و مودانيا بها العديد من مطاعم الأكلات البحرية التي تشتهر بها مودانيا بالطبع , و مطاعم الأكلات السريعة المتوافرة بجانب الميناء البحري , و بها أيضا عدة محلات تبيع وجبة مشهورة للأتراك وهي المصارين المشوية الملفوفة على سيخ يشبه الشاورما و لكن أفقيا و ليس رأسيا , قد تشعر بالتقزز نوعا ما مثلي , و لكنني كتبت عن ذلك حتي أحذرك منها , اذا أتيت الى تركيا و وجدت شاورمة دائرية و لكن افقيا و ليس رأسيا فاعلم انها ليست شاورما , انما وجبة مصارين.

و من الجدير بالذكر , أن مودانيا كانت المدينة التي وقعت فيها معاهدة او اتفاقية مودانيا بين تركيا و إيطاليا و فرنسا و إنجلترا في عام 1922 بعد حرب الاستقلال التركية.

و من المميز في مودانيا أيضا أن الفنادق هنالك و حتي الشقق السكنية ذاتها سعرها رخيص , لدرجة أن هنالك شقق سكنية بها سعرها يوازي سعر الشقق السكنية في مصر ! .

و بالطبع فان ذهابي الى مودانيا يقتصر على شيئين فقط , اما بغرض التجول و هذا قليلا ما أفعله لبعدها عني حيث يبلغ طول الطريق من سكني الى هنالك حوالي الساعة , و لذا فلا أذهب الى هنالك بغرض السياحة الا قليلا , و اما لأركب منها الباخرة المتجهة الى إسطنبول و هذه هي أغلب مرات ذهابي الى هنالك , و لأنني ذهبت عدة مرات الى إسطنبول , فانني حفظت تلك البقعة الواضحة من المدينة , من كثرة تجولي بها عند انتظاري موعد باخرتي , و بالرغم من بعدها عني مسافة الا أن مودانيا تبقى قريبة جدا الى قلبي , و لو كان بيدي لفضلت السكن بها عن سكني الحالي في بلدية "يلدرم".

القرية العثمانية (جوماليكزيك)

القرية العثمانية (جومالي كيزيك) هي قرية في بلدية (يلردم) التي يقع بها سكني , و يعود تاريخ تلك القرية الى تاريخ تأسيس الدولة العثمانية ! , أي الى ما قبل حوالي سبعمائة عاما , و هي احدي القرى النادرة التي استطاعت المحافظة على و حماية الطراز المعماري للبيوت العثمانية و التي لا تزال تحتفظ حتي في بعض جوانبها الى نفس طراز الحياة العثماني , و تم فرض قانون على تلك القرية عام 1980 للمحافظة على طراز تلك القرية , و لا أعلم تحديدا لماذا تم فرض هذا القانون في ذلك العام المتأخر ! , فالقرية التي استطاعت الحماية على طرازها من تأسيس الدولة العثمانية الى عام 1980 تستطيع مداومة الحفاظ على تراثها ! , أم من المحتمل أن الدولة أصابها الخوف من طغيان التكنولوجيا و بواذر افتتاح القرن الجديد و العولمة من التأثير على طابع القرية مما أدى بها لاصدار مثل هذا القانون , و استمر ترميم الكثير من المباني القديمة التي تعود الى تلك الحقبة الزمنية الهامة فترة من الزمان , و تم تعريف السياح بها عن طريق النشرات بل و أيضا عن طريق احدي المسلسلات التي دارت الكثير من احداثها في تلك القرية فأصبحت معروفة للجميع ! , يا له من سلاح قوي , المسلسلات التركية , بالفعل هو سلاح قوي جدا لنشر الثقافة التركية ليس في العالم العربي فقط بل في العديد من الدول التي تتابع الفن التركي , بل و أيضا أداة قوي لجذب السياح الى تركيا , فهم ينتقون دوما الأماكن الجيدة التي يصلح فيها التقاط المشاهد لاعطاء صورة حسنة عن تركيا , في ذات الوقت الذي ينتقي مخرجينا أحيانا أسوء الأماكن بمصر ل(يعرضوا الصورة الحية للمجتمع على حد تعبيرهم ! , بالتأكيد الفن له دور هام في نقل الصورة الحية للمجتمع , لكن المجتمع كله ليس بالصورة الكئيبة التي يصورها بعض المخرجين في أفلامهم , فالتوازن مطلوب.

وصلت مع أخي الى القرية العثمانية بعد ركوبنا لدولمش رخيص الثمن , كنت أظن أنه قد يكون أغلي قليلا بسبب ذهابه الى قرية سياحية , لكن سعره كان عاديا و مثل أي سعر دولمش اخر , فركبت أنا مقابل ليرة و نصف , و أخي مقابل ليرة و خمس وسبعون قرش تركي , وصلنا الى الموقف الذي ينزلنا قبل القرية بخطوات لنمشي الى القرية حوالي عشرة دقائق , و لكن السائق أبدي لنا موقفا فيه شهامة و "جدعنة" كما نطلق نحن المصريين, فلم يكن في الدولمش غيري أنا و محمود أخي فقال لنا لا تنزلوا , و فهمت أنه سيوصلنا الى القرية و بالفعل فعل , سألنا قبل النزول هل أنتم مسلمون ؟ أجبتا الحمد لله مسلمون , ففرح أنه قام بعمل شيئا لوجه الله مع المسلمين - موضوع المسلمين و "الكفار" كما يطلقون على أي غير مسلم - منتشر بشكل قوي في تركيا, أقوى مما تتخيل , نزلنا للقرية العثمانية , و تتميز أرضية تلك القرية بأنها ليست أسفلتية مثل كل مكان , بل تتكون من الصخر و التراب , المشي عليها يتعب قليلا , و بمجرد دخولك للقرية , اذا اختفي بائعوا التذكارات من مدخل تلك القرية , لأحسست بأنك بالفعل رجعت الى عصور الدولة العثمانية الأولى !

تتكون بيوت القرية من طابقين أو ثلاثة على الأكثر , يمثل طابقها الأرضي القسم الشتوي و العلوي القسم الصيفي , و قد تفاجئ اذا لم تجد نوافذا في الطابق الأرضي , و ذلك للحفاظ على حرمة البيت , و توجد النوافذ فقط في الطابق العلوي , و تتميز الجدران بألوانها المميزة التي تعطيك إحساسا بالبهجة و التفاؤل مثل الأبيض , الأخضر , الأصفر و غيرها من الألوان مثل الأزرق و البنفسجي

و الوردى اللذىن يكونون معا لوحه فنىة أىضا تجعلك قد تقف أمامها فقط لتأمل جمالها المخلط بجمال هدوء شوارعها و انعدام صخبها.

و يوجد بالقرىة العدىد من المطاعم التى تستطيع تناول (إفاطار القرىة) - كما يسمونه - بها , و يكون سعره غالبا الى حد ما , حىث يصل الى خمسة عشر أو عشرين لىرة , و تستطيع أىضا بعد تجولك شراء المنتجات القروىة المصنوعة بالىد عن طرىق المكرونة - كما أخبرتكم مصنوعة ىدوىا - و المخللات و الخضروات أو الفواكه الطازجة و أنواع الجبن و الخبز الى آخر تلك المنتجات.

تجولنا أنا و أهى و التقطنا بعض الصور التى تخلد ذكرى تلك القرىة , و أثناء تجولنا فى القرىة وجدنا مركزا ثقافىا للقرىة , فدخلناه , فكانت فرصة جىدة للدخول الى نموذج للىبوت القدىمة من الداخل , و كذلك تستطيع أن تفعل بقضائك احدى اللىالى فى "البنسىونات" الممنتشرة هنالك , و رحبت بنا المسؤولة عن المركز و أعطتنا بعض البروشورات و قامت متفضلة بالتقاط صورة تذكارىة لى و لأهى بداخل المركز , و بعد انتهاء جولتنا و خروجنا من القرىة فوجئنا بأطفال أتراك بعمر صغىر جدا يأتون لنا مرحبىن , و يسألوننا هل أنتم عرب ؟ , و هذا بالطبع ىتضح من شكلنا و لون بشرتنا , و هو موضوع قد لا تتخيله الان كما لم أكن أتخيله من قبل , الى أن أتىة الى هنا و عشت مع الأتراك و أصبحت أثناء تجولى فى الشارع و رؤىة الناس , أستطىع تحدىد العربى من غىر العربى , أىضا عندما جاء أهى تفاجأ من ذلك و سألنى كىف , و لكننى أود القول أن الموضوع بالفعل ظهر أنه أبسط من ذلك كثيرا , المهم , أجبنا الأطفال بأننا عرب , و تعرفنا علىهم و سألنهم عن أسمائهم , و ودعناهم , و ودعنا القرىة على أمل لقاءها قرىبا , و بالفعل جاءنا خبر أثناء احدى الدروس فى مركز اللغة أن المركز سىقوم بتنظىم رحلة الى القرىة العثمانىة (جومالى كىزىك) , ياه , أهلا بكى مرة أخرى يا عزیزتى!

تسلق الأولودا !

و لأن بورصة تشتهر بسياحتها الشتوية , و يعتبر جبل أولودا من أشهر علاماتها المميزة , هذا الجبل الشهير الذي تقام به أشهر مسابقات التزلج العالمية , و الذي كان يسمى قديما ب (مسيان اوليمبوس) على ارتفاع الفين و خمسمائة و ثلاث و أربعون مترا , و لن أتحدث عن الجبل كثيرا من حيث المعلومات , ففي ويكيبيديا زاد لمن أراد معرفة المزيد , و لكن دعوني أحكي عن المواقف الحقيقية التي حدثت لنا في تلك الرحلة المثيرة للتعب , و بالرغم من ذلك فانها حملت تجربة لا تُنسى و أعطتنا دروسا لا يمكن ألا نتعلمها , أول هذه الدروس و أهمها على الاطلاق ألا نقوم بتجربة القيام برياضة التزلج على الجليد مرة أخرى.

قررنا أنا و أخي الذهاب الى الجبل لتجربة رياضة التزلج على الجليد للمرة الأولى و الأخيرة في حياتي , حياتي و ليست حياتنا لأنني لست متأكدا ان كان سيقوم بها محمود مرة أخرى أم لا , و لكنني متأكد يقينا أن تلك المرة الأولى و الأخيرة لي, و على معلوماتي البسيطة للذهاب هنالك , أننا نقوم بأخذ دولمش الى التلفريك و من هناك يقوم التلفريك بتوصيلنا الى مطلع الجبل و من هناك نستقل تلفريكا اخر , أو شيئا كهذا , لست متأكدا تماما و لكن تركنا الأمور تجري كما يراد لها أن تسير , ركبنا الدولمش و استغرق مسافة طويلة و انتظرنا متشوقين الى نهاية الخط , و عند نهاية الخط سألت السائق أين التلفريك ؟ , فقال لي : هو هنالك على مرمي عينك , و لكنه مغلق الان ! , مغلق ؟ و لماذا تركتنا كل تلك المسافة أيها السائق؟! , حسبنا الله , سألته و كيف نذهب اذن الى الجبل ؟ فقال لنا انزلوا الى ذلك الطريق و أشار بيده الى احدي الطرق , و استقلوا الباص رقم 33 على ما أتذكر و سوف يوصلكم الى مكان لتركبوا منه تاكسي أو دولمش اخر , فوافقنا مضطرين , و بعد وصولنا الى ذلك المكان , وجدنا الدولمش المقصود , لنجد أجرة ركوبه مكتوبة على زجاج السيارة , 12 ليرة ! , تفاجئت من الرقم و لكن شجعتني أخي و قال لي , اننا لن نذهب هنالك كل يوم , و بالطبع لا بد أن يكون سعره كهذا , الى اخر الكلام الذي قد ينيم الضمير المصري الذي يستقيظ أحيانا عند ذكر ركوب ميكروباص ب12 ليرة , المهم , نام ضميري الحريص أحيانا و المبذر أحيانا أخرى على هواه , و ركبنا الدولمش , ليستغرق الدولمش حدود ال 40 دقيقة الى الساعة في الصعود الى الجبل , كان طريق الجبل منحدر ملتف مما يصعب مهمة السائق و يجعله يقود سيارته ببطئ الى حد ما , و كانت المسافة في حدود 40 كيلومتر , و بعد رحلة متعبة لم أستطع أن أنام فيها وصلنا أخيرا الى الجبل حيث مكان التزلج , قال لنا السائق لا تقوموا بالتزلج , التزلج باهظ الثمن , لن تستطيعوا التزلج , تعالو معي لأوصلكم الى التلفريك , هو أفضل لكم , تعالوا الان فبعد قليل سيكون مزدحما , الى آخر تلك الكلمات التشجيعية , رفضنا , أحسست أن هذا الكلام لا ينبع الا عن طريق شخص متحفز لأخذ عمولة من إدارة التلفريك , فتركنا الرجل , و ذهبا لنلتقط الصور وسط الثلج الكثيف , الذي يراه أخي فيما أظن للمرة الأولى في حياته و لم أراه أنا سوى يومين في ذلك الشتاء الغريب في بورصة , بورصة التي كانت تمطر كثيرا و تتلج كثيرا و لكنها هذا العام حزينة لأسباب لم أعلمها , بعد ذلك ظللنا نبحث عن مكان لتأجير أدوات التزلج , وجدنا متجرا يقوم بتأجيرها , كان سعر الأدوات للفرد في حدود 90- 100 ليرة للفرد ! من جاكيت و الحذاء و اللوحي الخشب الرفيعين اللذين لا أعرف اسمهما بالتحديد و لكنهما يستخدمان للتزلج بالإضافة للنظارة الحامية للعين , فاصلنا مع الرجل كثيرا و قلت له أنني طالب و للطلاب تخفيض الى آخر طرق مفاصلة المصريين , الى أن وصل الى إعطاء الفرد منا الأدوات بخمسين ليرة , كان المبلغ

باهظا الى حد ما , و لكنها تجربة تستحق المبلغ المدفوع , بالطبع المبلغ يكون أرخص كثيرا اذا كانت رحلة جماعية منظمة من قبل احدي المنظمات الموجودة في بورصة , و لكن ما علينا , هذه الرحلة لا توجد الان , علينا أن نقوم بالتجهز بلبس الأدوات و الاستعداد للترليج – أو هكذا ظننا – قمنا بلبس الأدوات التي جعلتني أسمن كثيرا , تصورنا بعض الصور الطريفة في الثلج , و نصحنا الرجل بأن نمارس التزلج في منطقة مخصصة للهواة و ألا نتجاوزها , و لم نستمع الي نصيحته و صعدنا الى مرتفع بسيط جدا , و بدأنا , و كانت المفاجأة , لم نتزلج مع الأسف , انما أخذنا المنحدر كله وقوعا , و المشكلة أن تلك الأحذية الغبية لا تمكنك من القيام بعد وقوعك بسهولة , بالإضافة الى أن عصي التزلج تطير بعيدا عنك , فلا تستطيع أن تجلبها , فيقوم احدي الواقفين على أرجله هنالك مساعدة منه بجلبها لك ثانية , قمنا و استرحنا قليلا من الوقعة , و قررنا أن نتزلج في مناطق المبتدئين و لم تفلح محاولتنا أيضا و باعت بالوقوع , كل مرة نفع , و لم نستطع طيلة وقتنا أن نتزلج و لو لمرة واحدة .

كنا عند استئجارنا الأدوات سألنا المتجر عن مدة بقاءها معنا , فقال لنا اذا أردتم ابقاءها معكم طيلة اليوم فهذه ارادتكم , و تعجبت من ذلك , و لكنني بعد ذلك عرفت السبب , هو علم أننا سنتعب من كثرة الوقوع و أننا سواء أردنا أخذها معنا لمدة أطول أم لا فسنردها له في مدة لا تتجاوز الساعتين لأننا لن نستطيع اكمال التزلج !

اقتربت الساعة من الثالثة, و قررنا أنا و أخي النزول لنصل قبل الغروب الى الأرض مرة أخرى ! , و عند نزولنا لنستقل الدولمش العائد و لغرابة الصدف وجدنا نفس السائق الذي أتى بنا ينتظرنا لنعود معه مرة أخرى , و لنرجع لتلك الرحلة المتعبة التي تستغرق قرب الساعة مرة أخرى.

و من الأشياء التي عرفتها بعد ذهابي الى الجبل , أن الجبل يمتلئ بالعرب الخليجين الذين يأتون الى بورصة خصيصا لممارسة التزلج, و الأغرب أنني في ذهابي و ايابي , عندما علم الاخوة العرب بأنني مقيم هنا , كانوا يسألونني الكثير من الأسئلة عن كيفية الذهاب الى مودانيا حيث الميناء الذي سيعود بهم الى إسطنبول.

رحلاتي خارج بورصة

اسطنبول..

المدينة الساحرة !

"السائر ليلا في شوارع إسطنبول يري بانوراما تاريخية مجسدة في طريقه , بنظام الأربعة أبعاد , البعد الرابع هنا هو بعد الشعور , الشوارع و الموسيقى و البنايات العتيقة , المساجد و الأكلات الشعبية , كلها شواهد على حقبة من التاريخ كفيلا أن تحيي فيك ما قد مات من : ذكريات و مشاعر , إسطنبول يا صديقي حاضرة معك في الأفراح و الأتراح , في الأمل و الآلام , إسطنبول كمدن العالم العتيقة , تعبر عن نفسها ليلا , يقول فيها صديقي : من ابتلي بالحب في إسطنبول فقد بُلي بلاء عظيمًا !".

نقلت هذه الكلمات من صفحة صديقي محمد البكري و كان قد أبدع كتابتها صديقه أحمد المصري , قرأتها و تأثرت بها , لأنها كتبت لاسطنبول , المدينة التي عشقتها , حبي لها في أوله كأبي حب بين محبوبين , بدايته انكار , تردد , تفضيل للقريب عن الحبيب البعيد , و لكن ما ان لبثت اتي لها , و قد تبدل الانكار باعتراف و شوق , و التردد بثبات و يقين , و تفضيل القريب بالطموح الى البعيد , نعم لقد أحببتها !

زرت إسطنبول أربعة مرات , و تبقى كل مرة مختلفة عن نظيراتها , ذات تجربة بطعم خاص , أو بمعنى أدق تجارب جديدة لم أعشها من قبل , فكل مرة أذهب فيها الى إسطنبول أستمتع بشئ جديد , حتي و ان كنت أحيانا أرى محالا و اثارا سبق أن رأيتها , الا أن إسطنبول متجددة تكاد لا تنتهي , و ان حتي مكثت فيها أعواما طويلة , فستجد شيئا جديدا تتعلمه في كل مرة تقرر استنباط أسرارها.

و بالرغم من العزة التي أشعر بها و أنا أذكر إسطنبول , مدينة الإسلام , اسلام بول , و أستعيد ذكريات الفتح , و أتخيلها كأني أعيشها و أنا أقرأ تاريخ الدولة العثمانية , و أتخيل مدي العزة التي كنا عليها و نحن نفتح القسطنطينية واحدة من أهم مدن المسيحية آنذاك , و أقارن حالنا اليوم بحالنا في تلك الفترة فأمتلا بالتحسر , أمشي في الشوارع لأرى ما لا يسر المرء رؤيته أحيانا , فأتذكر "الايفيه" الطريف الذي يقول : "لو يعرف انه يحصل كده الأيام دي مكنش فتحها !", لدرجة الشعور السئ الذي أصاب به أحيانا اذا رأيت بارا مثلا أو فتاة ليل تعرض نفسها في الشارع , و أقول لنفسي "إسطنبول المحتلة" التي ستسترد قريبا باذن الله عند الفتح الثاني للقسطنطينية الذي أخبر الرسول صلى الله عليه و سلم عنه , و قد يكون قبل ذلك , من يعلم !

إسطنبول , من أكثر المدن ازدحاما في العالم , حيث يسكنها ما يقرب من 15-16 مليون نسمة , و تعتبر إسطنبول مركز تركيا السياحي و الثقافي , و تقع على مضيق البسفور كما نعلم , و بها يوجد الخليج أو المشهور بالقرن الذهبي و من الأشياء الغريبة عنها أنها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع في قارتين , و هي المدينة التي وصفها الرسول صلى الله عليه و سلم عندما بشرنا بفتحها بأن نصفها في البر و نصفها في البحر , و بالطبع لا حاجة لذكر أن إسطنبول مركز تلاقي حضارات رهيب , حيث كانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية , ثم البيزنطية ثم الخلافة العثمانية .

و على الجانب السياسي الحالي , يوجد فكر شائع بين الأتراك أن رئيس بلدية إسطنبول تصبح له مكانة سياسية كبرى و يكون هو رئيس الوزراء التالي , طبقا لنموذج اردوغان كما يفكر البعض , حيث كان رئيس بلدية إسطنبول , و من الجانب الثقافي , فلكثرة الأجانب بها , فهي تعتبر مدينة تلاقي الحضارات الأكبر في تركيا بل في أوروبا.

زيارتي الأولى لاسطنبول حملت طابعا مميزا بعض الشيء , حيث أن عيد الأضحى كان يقترب , وهو يعني لى الكثير حيث أنه أول عيد أفضيه في تركيا , و تلك فرصة جيدة للتعرف على أجواء العيد فى بلد أغليبتها مسلمة و غير عربية و هي كذلك أول اجازة دراسية أحصل عليها هذا العام , فلقد أعطانا مركز تومر «مركز تعلم اللغة التركية» أعطانا اجازة دراسية منذ يوم 12 اكتوبر 2013 الى يوم 21 فى الشهر ذاته , فكيفلى اذن أن أضيع تلك الاجازة دون فعل شئ مميز و جديد ؟ خطرت على بالى فكرة طائشة, لماذا لا أذهب الى اسطنبول غدا؟؟ قرار بهذه السرعة و بدون الكثير من الترتيبات وبدون معرفة ما الخطوات التى يجب أن أتبعها بدقة للسفر و الإقامة مع جهلى باللغة التركية و جهلى الى حد كبير بما يمكن أن يزار فى اسطنبول , كل هذا يجعل هذا القرار متسرع الى حد ما , ولكنني أعشق كل ما هو متهور , أحب أن أعيش بتقائيتي بلا قيود أو قواعد أو قوانين تفرضها على الأنظمة أو المتعارف عليه , فأنا لا أعترف بشئىسمى «تهور» , التهور بالنسبة الىّ هو ألا تتهور ! عقدت العزم على السفر يوم الجمعة 11 اكتوبر ليلا بعد الانتهاء من الكورس , حضرت اغراضي فى أقل من نصف ساعة. كنت موقناً اني سأنسى شيئاً ما و بالفعل نسيت , لكن لا يهم.. فأنا معي و هذا يكفي ! لم نخشى فقدان أو نسيان أشياء و نحزن على ذلك مما ينسينا أنفسنا معها ؟ أكلت الوجبة المسائية سريعاً و استقلت المترو من محطة « اراياتا» الى «ايميك» و منها باص الى الميناء الذي سأستقل منه الباخرة المتجهة الى اسطنبول باذن الله.. هل أخبرتكم ممي سأسافر وحدي و سيلحق بي صديقي أحمد غدا ؟ هذا يضيفى للتجربة روعة و جاذبية أكثر ! فأحياناً تكون الوحدة محببة الى النفس.. ليس كثيراً بالطبع.. فلا يستطيع أي منا أن يعيش بدون أهله و أصدقائه و لكنهما مطلوبة أحياناً.. هل قرار ذهابي وحيدا يعد تلبية لداعي الوحدة ؟ و لكني لست وحيدا فمعي كتابي أقرأ فيه ويحدثني كاتبه و معي دفترى أكتب اليكم فيه و أحدثكم بقلمى.

بعد نزولى من محطة المترو اتجهت الى موقف الباص القريب من المحطة متجها الى الميناء الذى سأتجه منه الى اسطنبول عن طريق باخرة بحرية تستغرق حوالى ساعة و نصف انتظرت الباص.. اصطف الركاب و صعدوا واحدا تلو الاخر الى الباص و بدون ضجيج , صعدت اخرهم رغبة منى فى رؤيتهم صاعدين و كنوع من " الجنئلة" فى أن يصعد النساء و البنات أولاً .. و يا ليتني لم أكن لبقا فى هذا الموقف لأن الجميع جلسوا و ظللت أنا و بعضا من اللبقيين الاخرين واقفين معظم الرحلة و لسوء حظي يقف أمامي عشيقان يمارسان حبهما فى الباص أمام الجميع و بدون احراج , سمعت أن اسطنبول كمدينة سياحية فطبيعي أن يحدث هذا فيها بكل بساطة , لكن بورصة لم أر مثل هذا الموقف قبل , و أظنني لم أراه كثيراً بعدها و هذا طبيعي يحدث فى مصر أيضا فى المدن السياحية . و لكنني لم أتوقع أن تكون البداية بتلك السرعة فمازلت فى بورصة !

ماذا كان يقول فاتحها لو يعلم أن يوما ما سيحدث هذا بها ؟ فكرت و قلت لنفسى خائفا : يا ترى ماذا سأرى فى اسطنبول ؟ انى أشمئز من تلك المشاهد و أشعر بالغثيان تجاهها , وددت لو أنني أستطيع التحدث بالتركية لاخبرهم بسوء ما يفعلون.. و لكنني صمت و وصلت الى الميناء و اتجهت الى شركة ايدو لأستقل الباخرة , هنالك رحلتان من بورصة لاسطنبول احدهما الى ميناء بيني كابي تستغرق ساعة و نصف , و لكنها ستنتقل فى الحادية عشر الاربعة مساء و الاخرى الى كاباتاش و تستغرق ساعتان و لكنها ستنتقل فى التاسعة مساء

و بالرغم من أن السكن الذى سأتوجه له قريبا من بيني كابي الا انني اخترت رحلة كاباتاش لأنها الأقرب و الأسرع وصولا و حتى أصل قبل منتصف الليل الى اسطنبول و تكلفة تلك الرحلة مخفضة للطلاب و كانت بتسعة عشر ليرة تركية انتهت الرحلة البحرية سريعا..كانت رحلة سهلة و لم أشعر أنني أركب البحر خرجت الى اسطنبول وأنا أشعر انني قد حققت حلمي بزيارتها فكم تمنيت أن أزور تلك المدينة الرائعة !

و أول شئ قابلته بعد خروجي من الميناء هو جسر السلطان محمد الفاتح الشهير ..كان منظره رائعا و لكن كاميرتي لم تستطع ان تلتقط له صورة ليلا,,كما انني كنت مستعجلا.. اتجهت الى التراماي ليتجه بي الى محطة بايزيد القريبة من سكني و التراماي هنا بالطبع أكثر نظافة من مترو مصر ! و الصور فى الصفحة تترك لكم الحكم .. فمن باب اولى لا وجه للمقارنة بين تراماي اسطنبول و تراماي مصر أحس هنا فى اسطنبول بشعور مختلف

أحس بالفرح بالطبع لتحقيق حلمي و الحمد لله فى زيارة تلك المدينة التاريخية الشاهدة على عظمة خلافتنا الاخيرة أسأل الله أن تعود الينا قريبا ما أروع الكتابة...فهي تعطي لنا أفقا جديدا للذكريات , فعندما تكبر و تقرأ ما كنت تكتب ستتذكر كيف كنت تفكر فى شبابك و كيف كنت تكتب و ماذا كانت مشاعرك حينذاك و ماذا كانت اهتماماتك حين كتابتك اياها

أما الصورة وحدها فليس باستطاعتها فعل كل هذا رغم اهميتها و الان اترك القلم لاستمتع بجمال تلك المدينة العظيمة..استانبول نزلت فى محطة بايزيد.. رأيت كشكا به اكلات سريعة فتناولت سندوتش سوسيس - هوت دوج و لكنه بالتركية سوسيس -

كانت الساعة فى حدود الثانية عشر ليلا تمشيت قليلا لاصل الى السكن فى شوارع منحدره مائلة بشكل يصعب عليك نزولها او صعودها كذلك !

شعرت بالخطر لتأخر الساعة و عدم وجود الكثير من الأشخاص فى ذلك الشارع الجانبى فى هذا الوقت المتأخر و لكن الحمد لله مر هذا الطريق بسلام انتظرت صديقي محمد البكري ليوصلني لأنني لم أكن أعرف الطريق قابلته و تحدثنا طويلا و شعرت تجاهه بارتياح كبير و أحببته فى الله فهو شخص كما احسبه و لا ازكيه على الله طيبا مخلصا

و لولا ان نهانا رسولنا صلى الله عليه وسلم عن المديح الا فى الضرورة لأجزلت له المديح

تحدثنا سويا لمدة حوالى اربعة ساعات و قمنا نصلى الفجر معا ثم دخلت للنوم و ذهب هو ليقرا بعض الكتب

تحدثنا فى أشياء كثيرة

جوانب شخصية و عن أوضاع مصر و احوال تركيا و اسطنبول و الوضع فى سوريا لقد استمتعت بالحديث معه حقا و احسست انني اعرفه منذ فترة طويلة ,

ساعدني محمد في التسجيل في السكن لمدة الزيارة تلك فجزاه الله خيرا عني
نمت كالقتيل بعد الفجر في اول ليلة لى باسطنبول و استيقظت قبل الظهيرة مفكرا فيما
يمكنني فعله اليوم و ماذا سيكون جدول يومي الاول في اسطنبول ؟
استيقظت مبكرا متحمسا , و أيقظت صديقي محمد لنبدأ في تنفيذ برنامج يومنا , أخبرني أننا سنتجه
الى زيارة لمنطقة السلطان أحمد التي يقع بها مسجد السلطان أحمد و متحف أيا صوفيا و قصر توب
كابي , و أثناء طريقنا الى تلك المنطقة وجدت مسلتان , احدهما مصرية و الأخرى ليست مصرية
, فأما المصرية فهي مسلة تحتس الثالث و كانت موجودة بمعبد الكرنك الى أن الأمر الامبراطور
قسطنانيوس الثاني بنقلها الى الإسكندرية احتفالاً بمرور عشرون عاما منذ توليه العرش , و بقيت
في الإسكندرية الى أن أهديت من مصر الى القسطنطينية في عهد الامبراطور ثيودسيوس الأول
كهديّة من بابا الإسكندرية آنذاك , و تحكي رواية أخرى أن الامبراطور هو من أمر بنقلها.

تركنا المسلة بعد أخذ الصور بالطبع عندها و توجهنا الى مسجد السلطان أحمد الضخم , المسجد
المسمى بالمسجد الأزرق , و مسجد السلطان أحمد بلا شك يبهر كل من يزوره بعمارته الرائعة
العتيقة الممزوجة بعبق التاريخ العثماني , و من الطريف في عمارة ذلك المسجد أن السلطان أراد
بناء ست ماذن له , و لوقي هذا بنقد شديد حيث أنهم اعتبروا ذلك نوعا من التشبه بالحرم المكي
بماذنه الست , فقام السلطان أحمد ببناء مأذنة سابعة في الحرم ليتمكن من بناء الست ماذن في
مسجده في تركيا ليكون هو المسجد الوحيد في تركيا الذي يحتوي على ست ماذن, و كان سبب
بناؤه أصلا كما تحكي بعض الحكايات أن مسجد أيا صوفيا المقابل له مباشرة كان يمتلئ بالمصلين
عن اخره , و كان هنالك حاجة الى مسجد اخر ليعسع العديد من المصلين , لذا فقط قام السلطان ببناء
ذلك المسجد ليتسع للمزيد من المصلين , رحم الله أولئك المسلمين , ليروا كم أعداد المصلين اليوم
في عالمنا العربي , لو كان أجدادنا بنوا المساجد ليتسع المساجد لأعداد مصلي اليوم , لأظن أن عدد
المساجد كان قد تقلص الى النصف , أو أقل !

و صليت في مسجد السلطان أحمد صلاة عيد الأضحى و قد أعددت تقريرا مصورا بسيطا عنها و
عن أجواءها و رفعته على اليوتيوب , و تستطيعون رؤية الفيديو من هذا الرابط :

<http://www.youtube.com/watch?v=HjdfsPRNfMQ&feature=youtu.be>

ثم اتجهنا بعد ذلك الى الجهة المقابلة مباشرة لنزور متحف أيا صوفيا , الذي كان في الماضي قبل
الفتح كنيسة ثم اشتراها السلطان الفاتح بأموال الدولة و ليس كما يعتقد البعض , فهو لم يستولى
عليها بعد الفتح , و بعد قيام الجمهورية التركية و إقرار الدستور العلماني للدولة حوله أتاتورك عليه
من الله ما يستحق الى متحف بعد أن مكث ما يقرب من خمسمائة عام تقام فيه فريضة الصلاة , و لا
يجوز أن نترك هذا المقام قبل أن نتذكر الآية الكريمة القائلة :

" و من أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه و سعي في خرابها " و نتذكر أيضا الجزاء :
"لهم في الدنيا خزي و لهم في الآخرة عذاب عظيم " , و من منا لا يعرف النهاية المخزية التي
عاناها أتاتورك في نهاية حياته , فله الحمد المنتقم لدينه.

و بعد التقاط الصور كعادتنا في كل تلك الأماكن , انتظرنا صديق اخر ثم ذهبنا لمقابلة دكتور أكرم
حجازي المفكر الإسلامي الذي كان لقاءه قدرا في يوم ذكري انطلاق حركة أحرار للتصادف

العجيب ! و قد استمتعنا بالحديث معه في الكثير من الأمور و ايصاله أيضا الى المطار حيث يتجه بطائرته الى بلاده عائدا بعد مشاركته في احدي المؤتمرات بتركيا.

و في احدي الأيام التالية اتجهت وحدي لزيارة قصر توب كابي , الذي كان هو المقر الرئيسي للسلطين العثمانيين ما يقارب الأربعمائة عاما , و قد تم بداية بناء القصر بأمر من محمد الفاتح , و يحتوي القصر على عدد من الاثار الدينية المقدسة , كبعض المتعلقات المنسوبة الى الرسول صلى الله عليه و سلم و الصحابة , بالإضافة الى متعلقات خاصة بالسلطين العثمانيين , القصر رائع و ينصح به كل من يزور إسطنبول , و لكن زيارته للأشخاص العاديين أو السياح غالية نوعا ما , فتذكرته تتكلف حوالى 25 ليرة أي ما يعادل 85 جنيها مصريا , أما بالنسبة للطلاب فبواسطة كارت زيارة المتاحف للطلاب فدخوله مجاني , و من هنا نود التنبيه أن للطلاب في تركيا الكثير من الحقوق الممنوحة لهم من قبل الحكومة , فالكثير من المزارات السياحية يحق لهم دخولها مجانا أو بتخفيض كبير جدا , و كذلك المواصلات العامة و الخاصة حتي لهم تخفيض كبير على ركوبها , و غير ذلك من الخدمات الصحية و العامة.

انتهيت من الزيارة , لحقت الزيارة باكرا قبل ازحامه ظهرا و عصرا , و توجهت الى الترمي لأستقله لأتجه الى محطة كاباتاش لأذهب الى قصر جالاطة , و بعد وصولي الى كاباتاش اكتشفت أنني كان يتوجب علي النزول في محطة كراكوي فهي أقرب الى البرج من كاباتاش , و لكن لا مشكلة , فلأمشي قليلا , اتجهت في طريق صاعد مميز الى البرج الحجري الذي يعود عمره للقرون الوسطي , و الذي بناه "الجنويون" عام 1348 و ارتفاعه كاملا حوالى 66.9 مترا و بالطبع ارتفاع هذا البرج مقارنة بارتفاع مباني ذلك الزمان لهو ارتفاع شاهق بحق , وصلت الى البرج و انتظرت في طابور طويل لأتمكن من الصعود اليه , مللت انتظاري , الى أن جاء شابين يمارسان التسول بالموسيقى و العاب الخفة , فتسلينا أنا و الواقفين المنتظرين للصعود برؤية عروضهما الى أن جاء دوري و عندما دخلت بداخل البرج لأخبر الموظفة المسئولة أنني طالب لأستفسر عن وجود خصم للطلاب أم لا , فأخبرتني أنه لا يوجد خصم للطلاب و أن سعر التذكرة موحد للجميع و هو خمسة عشر ليرة ! , لا مشكلة اذن , هي فرصة جيدة لرؤية إسطنبول من عل , و عامة , فهمما كان السعر , لن أضيع كل تلك دقائق الانتظار و في النهاية أغير رأيي , فصعدت بواسطة مصعد الى طابق يسبق طابق الاطلاع على المدينة بطابق به لوحات معلوماتية عن البرج و تاريخه بالإضافة الى مكان التقاط الصور التذكارية بالأزياء القديمة , و أما الطابق الذي به الاطلالة السحرية على المدينة بزاوية 360 درجة فيه أيضا مطعم لكنني ما ان نظرت الى قائمة أسعاره فلم أفكر في الاقتراب له , يكفيك أن تعرف مثلا أن كوب الشاي يعادل 25 جنيها مصريا !

ظلمت في البرج , أشاهد المدينة , و كان الوقت ما يزال طويلا الى الغروب , لكنني أردت مشاهدة إسطنبول مضيئة ليلا , و كيف تبدو من الأعلى , انتظرت و انتظرت و لكنني في النهاية مللت فتركت المكان و نزلت لأرى شيئا اخر يمكنني زيارته بدلا من مكوثي هكذا بلا شيء أفعله في البرج .

سألت صديقي عن مطعم الأكل السورى الذي جاء في برنامج خواطر و المسمى بـ (طربوش) حيث أنني افتقدت الأكل السورى بشدة , فبالرغم من أن الشاورما التركية جيدة الا أنني أفضل الشاورما السورية عنها , خاصة ان لم تأكلها لمدة طويلة فتجد نفسك قد مللت الشاورما التركية "و فقط" ,

التغيير مطلوب أيضا ! , فنزلت في محطة ترمي يوسف باشا لأتجه الى مطعم طربوش لأتناول فيه الشاورما السورية بعد طول غياب عنها , كنت في قمة سعادتي , لا أدري هل الطعام يكسب المرء هذه السعادة أم لا , الا أن سعادتي قد يكون سببها هو تذوقي لوجبة طعام كنت أتناولها في مصر !

أؤمن بأن الله قد خلق لنا الأرض كلها لنتأمل فيها , و حلمي أن أزور كل مكان يتاح لي زيارته على ظهر هذه الأرض التي سخرها الله عز و جل لنا , و ان بدأت من هنا , فسأنتهي هناك , أنا على يقين باذن الله من ذلك , و من يضع شيئا في حلمه و أهدافه , فسيحققه , فقط بشرط أن يريد فعلا تحقيقه.

مما زرت في إسطنبول أيضا الجامع الجديد (بيني جامي) وهو ليس جديدا , انما سمي كذلك لتفرقة عن المساجد الأخرى عند بنائه , و من أسمائه (الوالدة سلطان) حيث أمرت ببناءه السلطانة صفية زوجة السلطان مراد الثالث و يعتبر من أكبر المساجد التي أسست بواسطة (والدة سلطان) أي زوجة سلطان وابنة سلطان اخر في تركيا , و تظهر فيه العديد من المظاهر الجمالية المعمارية , و يقابل هذا المسجد مسجد رستم باشا , الذي يوجد على حوائطه كما أخبرني صديقي د- محمد أبو سيف دكتور الاثار أن الزخارف التي على جدرانه هي أقصي ما وصلت اليه فنون الزخرفة في العهد العثماني , و بينما نتأمل تلك الزخارف و يشرح لنا الدكتور تفاصيلها جاءنا سائح اجنبي و سألني اذا ما كنت أتحدث الإنجليزية فقلت نعم , فسألني هل هذه النقوش حديثة ؟ فقلنا له لا . هي من عدة قرون ! , فظل مصدوما أمام الحوائط قائلا في دهشة " واو ! واو ! " , - السياح الأجانب عليهم حاجات برضه ! - , تخيلت لو أن شخصا مصرية عاديا وجد حائطا عاديا أو أثريا لاكتفي فقط بكتابة اسمه بالاسبراي , أو رسم قلب أو ما شابه ذلك , و ان كان على سبيل المثال و بالمناسبة , عندما عرض على مصر شراء تمثال الحرية و رفضت مصر , و ذهب الى أمريكا , اذا كان فرضا تم قبول مصر لعرض الشراء و تم وضعه عند قناة السويس كما كان محدد له , لظننت أن هذا التمثال سوف يملأ بالاسبراي و الجرافيتي و خاصة أيام التظاهرات.

أيام برفقة أخي

كان هنالك ما يشبه الاتفاق الضمني بيني و بين عائلتي أن الزيارات بيننا لن تنقطع طوال فترة سفري , سواء جئت مجددا الى مصر في إجازة قصيرة أو جاء أحد أفراد عائلتي في إجازة قصيرة الى تركيا , و بعد مرور أربعة أشهر تقريبا على قدومي لتركيا قرر أخي المجئ لزيارتي , محمود يعمل مهندسا للاتصالات و استطاع بشق الأنفس أن يقتنص إجازة لمدة أسبوع من عمله ليتمكن من زيارتي .

أخبركم بسر , كنت أحاول طيلة الأربعة أشهر أحاول ألا أتذكر عائلتي أو أفكر فيهم كثيرا , ليس جودا أو قلة في المشاعر لدي قلبي , و لكن اذا فعلت ذلك فسوف أصاب بألم شديد على فراقهم , و بالندم على تركهم , و عندما كانت تأتي خاطرة الى قلبي تختص بهم و أجد نفسي قريبا من البكاء , كنت أحاول إبعادها عن رأسي لكي لا أصاب بالهم و الاكتئاب , حتي أثناء مكالماتي لهم عن طريق الانترنت , كنت أحاول أن أكلهم كثيرا من الأحيان بالصوت فقط و ليس عن طريق المكالمات المرئية لأن رؤيتهم ستؤلمني أكثر .

اتفقت مع أخي منذ أسابيع على ميعاد قدومه , و أنهى أخي اجراءته و أتى موعد قدومه سعيدا سريعا , طلبت منه بالطبع عدة أشياء ليأتي بها من مصر , منها على سبيل المثال كتب للغة الإنجليزية لمراجعة لغتي التي تكاد تضيع ! , حيث أن اللغة التركية تمتاز بمنطقا المغاير المختلف لمنطق اللغة الإنجليزية و هذا يحدث تشبثا أو "الخبطة" في بعض الأحيان ! و طلبت من أهلي أيضا بعض العصائر المصرية – لم أكتفي بما جلبه لي أحمد - , و بالفعل عند قدوم أخي فاجأني بمفاجأة رائعة أعدتها لي أمي و هي زجاجة عصير قصب مجمدة أتوا بها لي من مصر ! , لن تتخيلوا مدي سعادتي بهذه الزجاجة ! , ذلك العصير التي كنت أشربه تقريبا كل يوم , و كنت بمثابة أدمنته كبديل عن المشروبات الغازية التي توقفت عن شربها منذ فترة طويلة , ما بالكم بأن يؤتي لي بهذا العصير بعد توقف ثلث سنة عن شربه ! , إحساس لا يتكرر في العمر الا للحظات !

قد لا تتخيلون هذا الإحساس الا عندما تعيشونه , و أنا أعذركم في ذلك , لأنني مثلكم قد لا أصدق ما أكتب ان كنت لم أعش تلك التجربة من قبل , المهم اتفقنا أنا و أخي أن أستقبله في مطار اتاتورك باسطنبول و لكن شاءت الظروف أن تتأخر رحلتي فأخبره لكي لا يتأخر أن يستقل المترو ثم الترمي ليقابلني في محطة السلطان أحمد , و بالفعل انتظرتة و بمجرد نزوله وجدني أمامه !

و بعد الأحضان و القبلات و الكلام المعتاد , توجهنا سويا الى الفندق الذي كان قد حجز به لنقيم به ليلتي الجمعة و السبت قبل أن نتجه يوم الأحد ليلا الى بورصة , حيث يوجد لدي درس يوم الاثنين و هو لم يرد أن يعطلني فقال لي سوف أصطحبك لنبقى أطول فترة سويا مع بعضنا البعض , و هي فرصة لأري فيها بورصة أيضا !

كانت حقائب أخي ثقيلة الى حد ما , و لم نكن نعرف مكان الفندق , و بعد السؤال و اتباع الجي بي اس مشينا ما يقرب من ثلث ساعة , و في النهاية نكتشف أننا كنا ندور حول أنفسنا و أن الفندق كان أمامنا و لم نلاحظ شارع !, دخلنا الفندق و أخبرت أخي أن عليه الاستراحة سريعا , ثم الاستعداد لأخذ جولة ليلية باسطنبول مرافقة لخط الترمي من السلطان أحمد الي كاباتاش , كانت المسافة طويلة حقا , و لكن رؤية إسطنبول ليلا تستحق ذلك , و بالمناسبة بعد الساعة العاشرة في إسطنبول

أيضاً تغلق العديد من المحلات , و لكن مشاهدة الشوارع ذات الأضواء الساحرة و برج جالاطة و قصر دولما بهتشة ليلا و المسير على شاطئ بحر مرمرة له مذاق خاص.

مشينا كثيرا و التقطنا بعض الصور الى أن تعبنا أقدمنا فرجعنا الى الفندق لنستريح استعدادا لليوم القادم الذي جهزت فيه برنامجا جيدا لأخي لزيارة العديد من الأشياء, لن ألتزم هنا بسرد البرنامج بترتيبه منعا لتكرار سرد الأماكن التي زرتها من قبل.

قصر دولما بهتنتنة

و الذي يقوم الناس بكتابة اسمه خطأ على شبكة الانترنت و يسمونه ب (دولما بهجة) , و لكن نطقه الصحيح (دولما بهتنتنة) أي حديقة دولما , قررنا زيارة ذلك القصر الذي تم نقل اليه مقر الخلافة العثمانية من عام 1856 الى عام 1922 تم نقل المقر بأمر من السلطان عبد المجيد الأول بعد أن كان قصر توب كابي كما ذكرت من قبل هو مقر الخلافة , و القصر يقع في منطقة بشكتاش , و يعتبر أول قصر عثماني يقام معماريا على الطراز الغربي , و يطل القصر على البسفور , مما يعطي رونقا اخرا للقصر , تكلف بناء ذلك القصر بحساب أسعارنا في يومنا هذا مليار و أربعمائة و واحد وثمانون مليون دولار تقريبا !! , و يقع القصر في موقع مميز حيث يقع على ساحل مضيق البسفور الذي يربط البحرين الأسود بمرمرة .

نزلنا في محطة تراماي كاباتاش , و مشينا بضع دقائق لنصل الى مدخل القصر المميز ببرج الساعة الشهير المبني أيضا على الطراز الغربي , و التقطنا عنده العديد من الصور , و ذهبنا الى شباك قطع تذاكر الدخول الى القصر , لنجد أن سعر تذكرتي كطالب هنا تتكلف 5 ليرات فقط , بينما سعر تذكرة أخي كسائح تبلغ 40 ليرة , قلت لأخي : لا يهكم , لنعتبر أن التذكرة ببضع و عشرون ليرة لكل منا , فالقصر يستحق الزيارة حقا , فهو من أروع النماذج المعمارية الموجودة في إسطنبول , و أيضا لن تجد أمامك فرصة كل يوم لزيارة قصر استخدم لإدارة شؤون الخلافة العثمانية يوما ما ! , قطعنا التذاكر , و مررنا أولا بمحل الهدايا الموجود على اليسار بعد عبور بوابتك الأولى لدخول القصر , اشترينا تذكارا بسيطا رخيصا على شكل برج الساعة الموجود أمام القصر , و تابعنا طريقنا الى قصر (سلام ليك) أي قصر الترحيب أو الاستقبال , و الذي كان يتم فيه استقبال السفراء و الضيوف القادمين للدولة العثمانية , و قد كان السلطان عبد المجيد الأول مبذر تذييرا شديدا في بناء ذلك القصر , وهذا يظهر لكل حي يزور ذلك القصر , و قد كان متأثرا بشدة بالغرب و مفتونا بمظاهر عمارتهم مما جعله في الأساس يبني قصرا اخر على الطراز الحديث الأوروبي بدلا من توب كابي الذي رأي أن الزمان فاته , و هذا القصر و مرتبات العاملين به أحدثت ثقلا شديدا على كاهل خزانة الدولة العثمانية , و بالرغم من ذلك الا أن الاسراف بلغ مده في عهد السلطان عبد العزيز الذي تسلم الاقتصاد في وضع افلاس تام حيث بلغت المصاريف السنوية بالقصر الذي عين 5320 شخصا حوالي 2 مليون جنيه إسترليني ! , و بعد أن طلب السلطان الاستدانة من الجيش مبلغ 800 ألف قطعة ذهبية تم اقضاه , و يجب التفرقة هنا بين السلطانين عبد المجيد الأول و الثاني , فالمذكور أعلاه بالطبع يختلف عن السلطان عبد المجيد الثاني صاحب مواقفه المشهورة و الذي تم الانقلاب عليه للأسف من أتاتورك , و في بداية عهد أتاتورك لم يقم أتاتورك بهذا القصر , بينما أقام فيه لاحقا و توفي في احدي غرفه التي لا تزال الى الان مفتوحة للضيوف لرؤيتها , و من بعد أتاتورك أقام به اينونو الرئيس الثاني بعد اتاتورك , ثم تم فتح القصر كمزار سياحي عام 1979 بقرار من مجلس الأمة ليتسني لي و لأخي منذ عدة أيام زيارته ! .

يوجد بالقصر مبنيين ضخمين تتمكن من زيارتهما عند قطعك للتذكرة الكاملة لزيارة القصر , المبني الأول كما ذكرت (السلام ليك) و الآخر هو مبني الحريم , الذي كانت تقيم به حريم السلطان , و الذي عبر عنه احدي السياح الألمان بقوله (و لهذا سقطت الدولة العثمانية) , بلا شك الدولة

العثمانية في أواخر عهدنا حملت أخطاءا قاتلة أدت الى سقوطها بلا شك , فالله لا يحابي أحدا لصالح أحد , فهي سنن الكون التي لا تتبدل.

و يعتبر هذا القصر تحفة معمارية كما ذكرت , تبهر أعين كل من يراه , و تجد نفسك عند دخولك بعض قاعاته تصرخ لا اراديا بكلمات التعجب و الدهشة مثل : الله ! , أو : "ما هذا ! " , أو أنا على سبيل المثال الذي نطقته هنالك : " لهم في الدنيا و لنا في الآخرة" فتفاجأت بسائح عربي بجانبى يرد عليّ ب "امين" ! , أقسام السراى، كما هو متعارف عليه في العمارة الإسلامية للسرايات فقد أقيم القصر على أعمدة رخامية رائعة الجمال، تربط ما بين الدهاليز والأقسام الأخرى للجناح وعلى الرغم من أن هذا البناء الجديد قد إزدان بثتى الزخارف والأساليب المعمارية، السائدة في القرن التاسع عشر إلا أنه في العديد من قصوره، وأجنحته قد حافظ على الطابع المعمارى القديم الذي يشهد بالعظمة، والنبوغ والتفرد للفنان المسلم فالمنظر العام للسراى، وقاعة الاستقبال المرتفعة وسط البناء، والدهاليز المغطاة والتي تربط بين القاعة، وبقية الأجنحة والقصور جميعها تشكل منظومة معمارية فريدة .

و كالمعروف , تستطيعون قراءة المزيد عن القصر عن طريق البحث في الانترنت , فأنا هنا لا أحب أن أروي كلاما نظريا مملا كثيرا , أو تستطيعون فقط الاكتفاء بمشاهدة صوره على موقع جوجل و الاستمتاع بجماله , جماله الذي لا أستطيع وصفه مهما بلغ قلبي من الكفاءة و العبقرية حيث أن قصرا كهذا لا تستطيع وصفه بأي كلمات , و اذا حاولت وصفه فسوف أطيل في الكتابة عليه, فما بالنا بالجنة اذن !

و من أروع قاعات القصر هي قاعة بهو الاستقبال , الذي تتوسطها نجفة رائعة مصنوعة من الكريستال تضاء بـ 750 شمعة و تزن حوالى 750 طنا , و أسفل منها سجادة مصنوعة يدويا مساحتها حوالى 100 -120 مترا مربعا على حد ذاكرتي , تلك السجادة فقط هي أكبر من بيوت الكثير من المصريين , و بالطبع من بيوت الأغلبية العظمى للمواطنين العثمانيين في هذا الوقت , ليس حقدا و لا تقليلا من قيمة السلطان , و لكن ذلك التبذير هو حقا الذي ألقى بنا الى التهلكة.

و يشغل قصر دولما بهتشة حوالى 250 ألف متر مربع , و من الجدير بالذكر أن زيارة هذا القصر ليست زيارة مفتوحة تتجول فيها بالقصر حيث تشاء , انما زيارة مصحوبة بمرشد سياحي معين من قبل إدارة القصر , و رافقتنا في الجولة الأولى بالقصر الرئيسي شابة تركية انجليزية ليست قوية جدا , و تحس أثناء عدم بلاغتها اللغوية بعدم ثقته في معلوماتها , و لكنني أعذر ذلك بالطبع لأن الأتراك و اللغة الإنجليزية ليسا علي علاقة وفاق قوية مع بعضهما البعض , أما في القصر الأخر الأصغر فرافقنا مرشد تركي من أصول غير تركية كانت انجليزية قوية جدا , و يتحدث بطلاقة و جرأة و بلاغة و خطابة رائعة , لدرجة أنني سألته في وسط الجولة " هل أنت تركي ؟ " لتأكد اذا كان هنالك تركي يتحدث الإنجليزية بتلك الطلاقة أم لا ؟! , حيث أنني طيلة أربعة أشهر قلما وجدت من يتحدث الإنجليزية من الأتراك أصلا فضلا عن أن يتحدثها جيدا أم لا !

انهينا جولتنا بالقصر في حوالى ساعة و نصف الساعة , و ظللنا نلتقط الصور في حدائق القصر, ثم طلبت من أخي الإسراع لأن علينا أن نزور حديقة مينيا ترك , فما هي حديقة مينيا ترك , و ماذا يوجد بها ؟

حديقة مينيا ترك

حديقة مينيا ترك , هي حديقة ذات فكرة عبقرية من الحكومة التركية , عبارة عن حديقة بها مجسمات لأشهر الأماكن السياحية و الأثرية الموجودة بتركيا , و بالطبع هي مجسمات مصغرة و لكنها دقيقة و بها أدق التفاصيل لما تعبر عنه حقيقة و قد بنيت بمقياس واحد الى خمس و عشرون , بالإضافة الى اثار خارج حدود تركيا و لكنها متأثرة بالعمارة التركية مثل مثلا جامع محمد على , و غيره , و تم افتتاح تلك الحديقة في عهد اردوغان عام 2004 . و تذكرة دخولها لأخي كانت 10 ليرة و لي 3 ليرات فقط, و عند شراءك التذكرة يعطيك الموظف كارتا صوتيا يعمل بنظام البار كود و يوجد أمام كل مجسم جهاز يستقبل ذلك الباركود ليعطيك شرحا صوتيا بلغتك سواء التركية أو الإنجليزية أو العربية لتستمع الى هذا المكان , ماهيته و تاريخه , و سر تميزه, و الحديقة مقسمة بشكل رائع , مخطط , تجعلك تسير مع الطريق الذي حدوده لك لترى كل الأماكن الموجودة بالحديقة دون أن تفقد مكانا واحدا و بالترتيب الذي رتبوه لك لمنع الملل الذي قد يتسرب اليك , قد تقضي بالحديقة يوما كاملا دون أن تمل , و تكفيك الحديقة لمعرفة أهم الأماكن الموجودة بتركيا و التي تستطيع زيارتها.

ركبنا باصا يتجه من منطقة ايمينونو الى مينيا ترك في طريق لم يتعدى النصف ساعة , لننزل أمام كلية التجارة بجامعة إسطنبول و التي تقابلها الحديقة و بعد دخولنا أخذنا صورة تذكارية كالمعتاد أعلى تلك الحديقة و بدأت جولتنا التي استمرت لمدة ليست بالقصيرة و لكننا اختصرناها لأن يومنا كان لديه الكثير من الأشياء الأخرى لفعلمها , و من المجسمات الموجودة هنالك : مجسمات المساجد الكبيرة الشهيرة بالطبع مثل أيا صوفيا و السلطان احمد و المسجد الكبير في بورصة و المدارس الدينية العثمانية و قبر مولانا في قونيا , كنيسة أنطوان باسطنبول , بيوت مادرين الحجرية , كبادوكيا , باموك كالي أو قلعة القطن , المدينة الأثرية افيس , مسرح اسبيندوس في انطاليا , بالإضافة الى شبكة سكة حديد مصغرة تجول الحديقة و مجسم كبير لمطار اتاتورك و للاستاد الاولمبي باسطنبول , و تقع الحديقة على مساحة 60 ألف متر مربع و تعتبر أكبر مدينة مصغرة في العالم , فلا عجب ان بتلك الأفكار البسيطة العبقرية أن يأتي لتركيا حوالى 31 مليون سائح في عام 2013 !!

في نهاية الجولة دخلنا سينما رباعية الأبعاد على هيئة هليكوپتر يسير بك في أنحاء تركيا في فيلم قصير لمدة احدي عشر دقيقة فقط , و قد كان ممتعا حقا.

انتهت جولتنا و قررنا الذهاب الى السوق المصري في امينونو بجوار الجامع الجديد , و سر تسمية هذا السوق بالسوق المصري مختلف فيه , فالبعض يقولون لأنه بُني من إيرادات ولاية مصر الداخلة للدولة العثمانية و اخرون يقولون لأن بعض المنتجات المصرية كانت تُباع فيه , و لكن ليس كل ذلك مهما , المهم , أن هذا السوق أصلا بُني لايجاد إيرادات صيانة الجامع الجديد الذي يقع بجوار السوق مباشرة .

بمجرد دخولك لهذا السوق المغطي المسقوف , فان العديد من الروائح المميزة تدخل الى أنفك , التوابل الشرقية و الحلويات و مختلف أنواع المشهيات , و بمجرد دخولك اليه ستشعر أيضا انك رجعت بالزمن الى سنوات عديدة في الماضي حيث أن عمارة هذا السوق تحمل الطراز العثماني

القديم حيث بني هذا السوق عام 1664 , و من طرائف السوق الشهيرة أن كلمة "مصر" تحمل معنيين في اللغة التركية , الأول مصر , و الثاني الذرة , و لذا يطلق بعض السياح خطأ على هذا السوق اسم "سوق الذرة " .

يأخذ السوق حرف ال"ال" باللغة الإنجليزية , و به العديد من المحلات كما ذكرت لبيع التوابل و الجبن و الحلويات و الذهب و الهدايا و الاكسسوارات , و تتميز تلك المحلات جميعها بأن أسعارها باهظة الثمن , و ستجد بسهولة في جميع تلك المحلات من يتحدث العربية ليتعامل مع الزبائن , أو حتي قد تجد من أصلهم عربي هنالك , فقد رحب بي ذات مرة أحد العاملين المصريين العاملين في السوق باحدي المحلات , و لكنني مع الأسف لانشغالي حينها لم أرد اليه الترحيب بالقدر الكافي من البشاشة , و مما أكره عامة بذكر هذا الموضوع هو كلمة "حاجي" المقصود بها "الحاج" التي ينادونك بها الأتراك , فبمجرد أن يعلمون أنك عربي ينادونك بحاجي لتتظرو اليهم و تشتري منهم , و بالعموم فقد تعلمت درسا غاية في الأهمية , اذا وجدت من يحدثك بالعربية في إسطنبول فلا تحدثه و لا تشتري منه , لأنه في الأغلب سينوي أن يضحك عليك في السعر , أو بمعنى أدق "ينصب عليك".

و بالطبع التقطت أنا و أخي كالمعتاد بعض الصور هنالك , و بالطبع أيضا لم تشتري أي شيء من هنالك , و أظنك أيضا لن تجرؤ على شراء كنانة سعر الكيلو منها يصل الى ستين ليرة أي ما يعادل 200 جنيه في بعض الأحيان , و هي في أصلها غير مميزة عن الكنانة العادية الموجودة في بلداننا , و لكنها بالطبع تبدو مميزة للأجانب الذين لا يعرفون تلك الحلوي , و لم يروها في حياتهم من قبل , فلا مانع أن يجربوها اذن و هي في ذات الوقت غير باهظة بالنسبة اليهم.

تتاراع الاستقلال و ميدان تقسيم

لا زلت أذكر كلمة صديقي البكري لي قبل زيارة هذا الشارع : " هذا المكان من أسوأ ما قد تزوره في إسطنبول " , لم أعلم السبب جيدا , قد يكون قصده أنه بسبب إقامة المظاهرات هنا أحيانا فالمكان اذن يسكنه الكثير من العلمانيين المنحليين أخلاقيا , فقد أشاهد ما قد لا يعجبني في ذلك الميدان و الشارع , و لكن أيا كان , يجب أن أزور ذلك المكان و أرى بنفسي و من ثم أحكم , فهو في النهاية مجرد ميدان و شارع , ما عسى أن يكون بهما ! , في المرة الأولى ذهبنا الى الشارع في يوم عرفة لفطر به في احدي المطاعم في احد الشوارع المتفرعة من شارع الاستقلال , كان ذلك برفقة أصدقائنا المصريين المقيمين في إسطنبول : محمود بركات و د-محمد ابوسيف و محمد اللبان و محمد البكري و أنا و أحمد حبيب رفيق الكفاح , ذهبنا الى المطعم و أكلنا فيه و تجولنا قليلا في الشارع الشهير الملى بالمطاعم و المحلات التجارية , و بعد ذلك قابلنا صديقنا أحمد و احد الزملاء الاخرين المقيمين في إسطنبول و ذهبنا الى مقهى عربي لنشرب به الشاي , و لكن تأخر الوقت و لا نزال بالخارج , لم أحبب أن أمكث طيلة هذا الوقت بالخارج , و لكن لا يهم , فأنا لست وحدي الان , نحن عدد كبير , لا خوف باذن الله , و بعد انتهاءنا, قرر صديقنا البكري أن نذهب الى سكننا و لكن عن طريق مختصر , ذهبنا معه , لنكتشف أنه جاء بنا الى طريق فرعي مظلم , لا صوت لأي شخص به , نحن الوحيدين السائرين فيه تقريبا , زجاجة كحول مكسورة مرمية بجانب الطريق , أصوات طيور الليل المخيفة , كل شيء يدعوك الى أن تتخيل موسيقى تصويرية بصوت ينزاد في العلو تخرج مع أنفاسك التي تصعد و تهبط لتستعد لاستقبال ذلك اللص الذي سيظهر لكم فجأة من وراء احدي الجدران , و بعد أن سمينا الله و مشينا معه, وجدنا علي يسارنا احدي سفارات دول أمريكا اللاتينية لا اتذكرها بالتحديد , قد تكون الاكوادور أو كولومبيا أو السلفادور , ما أتذكره هو ألوان العلم المميزة , و لكن ما هذا المكان السئ الذي تم وضع هذه السفارة به ! , ثم خرجنا من هذا الطريق المظلم , لنجد أنفسنا خرجنا الى شارع و لكنه هذه المرة مضى لنتابع طريقنا الى الترمي لنتجه الى بيتنا بعد يوم لن أنساه في ذلك الشارع الشهير , الاستقلال !

و لكن لم تكن هذه المرة هي الأكثر تشويقا و إضافة لتجاربني في ذلك الشارع , فالمرة التي ذهبت مع أخي لأريه هذا الشارع هي التي كانت أكثر تشويقا و غرابة ! , بعد نزولنا في محطة كاباتاش في ترامي إسطنبول ثم اتجهنا لركوب مترو كاباتاش الذي يتجه الى تقسيم , و بعد رحلة قصيرة استغرقت حوالي 6 دقائق , خرجنا في ميدان تقسيم فاذا بنا نجد الميدان غير الميدان , الأنوار غير مضيئة , الميدان مغلق , سيارات الشرطة كثيرة , و العساكر واقفين بطريقة غريبة , ظننت أنهم هنا لحماية شيء ما , و لكن لم أهتم , دخلنا شارع الاستقلال و عند دخولنا قابلنا شخص يحدثنا بالعربية فحدثته بالتركية لأعلمه أنني مقيم هنا و أعرف اللغة و أنه من الصعب أن يقوم بخداعي , فتركني و شأني , ثم قابلنا شخص اخر يقول لي نسا : " بدك صبايا ؟ حريم ؟ " , قلت له : أستغفر الله و تركناه سريعا , قلت لأخي مازحا : " طبعا أنت تعلم مثل هذا ما يسمونه عندنا في مصر ! " , و بالطبع هم يتحدثون العربية لجذب العرب مع الأسف , يا له من شيء محزن , و بعد دقيقتان قابلنا شخص اخر يحدثنا بالانجليزية قائلا : " هل تريد قضاء ليلة لطيفة اليوم ؟ " , رددت عليه بأستغفر الله أيضا و هربنا منه كذلك , الان علمت لماذا أخبرني البكري بما أخبرني به من قبل , الشارع ملى بأولئك الناس و بالبارات و النوادي الليلية و بأشياء تغضب الله عز و جل ! ما علينا , لأخذ جولة برفقة أخي لرؤية المحلات التجارية ثم نعود من حيث أتينا غير مضرورين بشئ , و

لكن ثمة شيء غريب يأتي من نهاية الشارع , أصوات جماهير , تصفيق , هتافات , لا , لا تخبرني
بما وقع في بالي الان , هل هي مظاهرات ؟ , و تابعنا المشي غير مكترئين لنفاجأ برائحة الغاز
المسيل للدموع , نعم كانت هناك مظاهرة و ضربت الشرطة الغاز المسيل للدموع , و ظل
المتظاهرون يسبون اردوغان , و طلب مني أخي العودة من حيث أتينا حيث أن اليوم "باين" من
أوله , و لا حاجة الى استنشاق الغاز المسيل للدموع الان , فقلت له مازحا : " مش حارمك من
حاجة أهو , غاز في مصر و في تركيا " , قلت لأخي قد ننتظر في احدي المحلات الى أن تنتهي
المظاهرة و نتابع المسير في ذلك الشارع , فقال لي : " لا , فقد كرهت هذا الشارع أيضا" , أنا
أيضا لم أحبه بعد ذلك اليوم , و قد تكون تلك المرة الأخيرة التي أزور فيها هذا المكان بعد ذلك
اليوم, فالوداع يا ميدان تقسيم , ليتك هنا يا سلطان محمود الأول لترى ماذا يفعل الأتراك في الميدان
الذي أسسته في هذه الأيام.

ليلة رأس السنة

أعطانا مركز اللغة إجازة رأس السنة , فدعانا رامون الى زيارة إسطنبول لأنه لم يمكث فيها كثيرا من الوقت , فوافقت أنا و أحمد و نحن غير تامي الرضا , لأننا ذهبنا الى إسطنبول من قبل, و اعتبرنا تلك الرحلة ستكون مملة لذلك السبب , و لكن وافقنا لكي لا نجعل صديقنا يحزن لفوات تلك الفرصة, فقد أراد الاحتفال برأس العام كمسيحي في إسطنبول , حيث سيقم أصدقائه الرومانيون احتفالاً باحدي البواخر في منتصف البحر في منتصف الليل , و بعيدا عن أنني لم أذهب معهم الى ذلك الاحتفال بالطبع , الا أنني وجدت بديلا غاية في الروعة بالنسبة الى ! , فقد كان هنالك اجتماعا لبعض الطلبة العرب ومنهم أصدقائي المصريين بالطبع بالإضافة الى صديقين مصريين جدد تعرفت عليهما في ذلك اليوم و هما خالد و مصطفى السولي احدي مخرجي الأفلام الوثائقية المميزين الذي قام بإخراج فيلم "فارس المنابر : الشيخ كشك رحمه الله " , و قد كان اجتماعهم مقرر له في حدود الساعة الثامنة في كافيه "دودو" بمنطقة الفاتح , ففكرت في أنني قد أذهب الى منطقة الفاتح قبل تجمعهم بعدة ساعات مثلا لأذهب الى مسجد الفاتح لأرى تلك التحفة المعمارية ذات الذكرى التاريخية العظيمة , و لأتجول قليلا في منطقة الفاتح الإسلامية , ركبت الباص من موقف الباصات في امينونو و ركبت الباص المتجه الى الفاتح , و نزلت في المحطة و تمشيت قليلا الى أن وصلت الى جامع الفاتح.

كان قد أمر ببناء هذا المسجد السلطان محمد الفاتح و قد بدأ بناؤه عام 1463 في موقع كنيسة بيزنطية قديمة مخربة من أيام الحملات الصليبية تحديدا بعد الحملة الرابعة , فليس المسلمين هم من خربوا تلك الكنيسة , و يوجد حول مسجد الفاتح مجمع أبنية رائع تخطيطه و رسمه , فقد أبدعه المعماري عتيق سنان ليبقى الى وقتنا هذا نسخة من أجمل نماذج العمارة العثمانية , جلست بضعا من الوقت في المسجد , رأيت حلقات دروس العلم الديني تقام , و بعض الأتراك الذين يعرفون اللغة العربية يعلمون غيرهم أدعية باللغة العربية و أذكارا و أشياء من هذا القبيل , فسعدت جدا , و لكنني فكرت في شيء اخر , هل لو كان ديننا مثلا بلغة غير العربية , هل كنا نهتم نحن بتعلم تلك اللغة لتعلمه , لا أعرف , بالطبع ستكون هنالك نسبة تريد تعلمه , و لكنه الان بلغتنا , نحن محظوظون جدا حقا , فالجميع – أقصد غير العرب – يحسدوننا على معرفة لغة الإسلام , و يتمنون لو كانوا يعرفون العربية ليفهموا دينهم جيدا , و لكنهم لا يعرفون أنه مع الأسف الكثير من العرب لا يهتمون بتعلم دينهم و لا بقراءة كتب العلوم الدينية بل و ان بعضهم حتي و ان كان يحب القراءة فانه يفضل قراءة الروايات أو كتب الفلسفة على قراءة كتب تفقهه في الدين.

انتهيت من جلوسي في المسجد لأنطلق في منطقة الفاتح الإسلامية التي كما كتبت عنها " أشعر أنني أتجول في حي الزيتون في مصر و ليس في تركيا ! " أرى الكثير من اللحي , جميع البنات التي رأيتهم متحجبات , محلات المصاحف و الأدوات الإسلامية في كل مكان , وجدت محلا يبيع عصير الليمون فدخلت لأشرب لي كوبا بعد أن مشيت و أصابني العطش لأجدهم يضعون شعارات الدولة العثمانية بداخل المحل, و حتي صاحب المحل ملتحي , و أصابني السرور من ذلك المشهد , و لم أكن أعلم أنني قد أري فيما بعد ذلك في مكان ما شيئا ينسبني تلك الفرحة , تابعت مسيري و خرجت الى الشارع الرئيسي لأتجه الى الكافيه الذي سننتظر بعضنا البعض فيه , و وجدت قدرا صديقي الذي لم أكن تعرفت عليه بعد خالد , تحدثنا قليلا , أحببته فورا , شخصيته سهلة , سريعة الانفتاح و

له وجه باسم مشرق , من الشخصيات التي يفتح لها القلب سريعا باختصار , ثم جاء صديقنا اللبان , وهذا أيضا من أحب الأصدقاء اليّ , حتي و أنا لا أراه كثيرا بحكم أنه يسكن في إسطنبول و أنا في بورصة , و لكنني أحب جدا رؤيته و الحديث معه , حتي و ان اختلفنا في بعض النقاط , لكنه من الشخصيات التي يعجبني تفكيرها , و بمعنى مصري خالص , من الشخصيات " الدماغ " , المهم التقينا و تحدثنا و انتظرنا بقية الأصدقاء , جاء الصديق الثالث مصطفى الشخص المحترم كما وجدته , والذي لم تتسني لي فرصة الحديث معه لوقت طويل , لكن كما قال الرسول صلى الله عليه و سلم : "الأرواح جنود مجندة , فما تعارف منها ائتلف " , ثم جاء أخيرا متأخرا صديقنا البكري , وبدأ اللقاء و تجاذب الجميع أطراف الحديث , ظلوا طويلا يتحدثون , نتحدث في كل شيء , مصر , تركيا , أحوال كل منا , و مكثنا هكذا الى أن اقتربت الساعة من الحادية عشر مساء , فاقترح علينا اللبان اقتراحا عبقريا راق لي كثيرا , و هو أن نظل الى الصباح في الشوارع نتجول بها و نرى كيف تسير الدنيا في ذلك اليوم , فقلت لهم و لكنني جائع و أريد أن أتناول الشاورما السورية من أحد المطاعم في منطقة أك ساراي , ذهبنا بالفعل و اشتريناها و من ثم اتجهنا الى كاباتش لننزل فيها و نتجه مشيا نحو منطقة بشكتاش , واحدة من أكثر المناطق العلمانية في إسطنبول , و حتي في الطريق من كاباتش الى ميدان بشكتاش فالحائط المرافق للطريق ملئ بصور أتاتورك في مختلف مراحل حياته , تابعنا طريقنا أنا و البكري و اللبان و خالد و تركنا مصطفى لانشغاله بالتزامات أخرى , و التقطنا صورة تذكارية أثناء وجودنا في ميدان بشكتاش , و أثناء التقاطنا إياها اذا بشاب مخمور لا يستطيع الوقوف يأتي بناحيتنا , الخمر تفعل بالإنسان ما لا يفعله شيء آخر , ليتساوي هو و الحيوان في مرتبة واحدة و هي انعدام العقل , و في طريقنا رأينا العديد من المخمورين و المتشاجرين أيضا بسبب تلك الافة و لم أرى شخصا واحدا غير مخمورا فيما أظن أثناء جولتي تلك ! , من يصدق أن هؤلاء و أهل منطقة الفاتح التي لم ألاحظ فيها أي تغيير يدل بقدم رأس السنة , من يظن أن ذلك الحي و ذلك الحي الاخر يقعان معا في بلد واحدة , و في مدينة واحدة !

مشينا الى اورتا كوي و جلسنا في مكان مطل على البحر و يقع أسفل الكوبري العظيم الذي يعتبر من رموز إسطنبول , و هو جسر الفاتح , و جلسنا قليلا نستريح من عناء المشي , لنجد تلك المنطقة أيضا مليئة بالمخمورين , و من المواقف الطريفة أن أحدهم وقف ليغني لصديقتيه بصوت عالي يبين فيه فقدانه لتركيزه , ثم أتى لنا ليسألنا هل مع أحدنا رصيد لاجراء مكالمة تليفونية , فقلنا له : لا , فذهب الى المقعد الذي بجوارنا و سألهم فطلبوا منه – و هم مخمورون أيضا – أن يغني لهم أولا , فغني لهم , و تفاعلوا معه بعبارات تركية يبدون بها اعجابهم بغنائه ثم أعطوا له التليفون ليجري الاتصال منه.

مللنا , و لكن قررنا أن نذهب الى احدي الحدائق الموجودة في الطريق لنكمل يومنا كما اتفقنا , و شاهدنا لقطات من فيلم سمير و شهير و بهير , الى أن مل الجميع و تعب , و قررنا الرجوع الى سكننا و النوم , النوم طويلا , فرجعنا مشيا مرة أخرى تلك المسافة الطويلة الى كاباتش , و لأنه لن نجد في هذا الوقت ما نركبه , فجلسنا في الشوارع و في محطات الاتوبيس ننتظر ما نركبه , ثم اتجهنا الى موقف الباصات حيث كانت تقترب الساعة من الخامسة و النصف و انتظرنا أول باص سيوجه الى سكننا و ركبناه , بينما انتظر اللبان الباص الخاص به , و قد أحسست بالاشفاق عليه و هو ينتظر نظرا لاحساسه باحساسه و رغبته الشديدة في النوم مثلنا جميعا.

ازمت..

زيارة الى صديقي المصري

قررت السفر الى ازमित المدينة الاكبر بكوجالي لمقابلة صديقي المصري محمد جمال الساكن هنالك و الذي لم يقابل اي مصري منذ مجيئه الى تركيا ! لا أحس بشعوره لأنني لم أقابله حيث يوجد معي مصريين ليس ببورصة وحسب انما بنفس الغرفة أيضا حيث يسكن معي صديقي احمد حبيب . المهم اتجهت الى الترمينال - محطة الباصات المسافرة من بورصة الى باقي المحافظات - لاستقل الباص المتوجه من بورصة الى ازमित و الذي سيستغرق ساعتين حجزت في رحلة الثامنة مساء..و كان ثمن التذكرة عشرون ليرة , دخلت الباص و انتظرت موعد قيامه , و استمتعت طيلة الباص بالواي فاي المجاني و "بالاكرام" اي الوجبة المجانية البسيطة التي يقدمونها في الباص.

عبر الوقت سريعا..لم يعد السفر متعبا كما كان في الماضي..و مع وجود انترنت - لجينا المعاصر - أعتقد أنه لا يوجد ملل في تلك الرحلات !

فكأنك تجلس في بيتك تتصفح الانترنت..تجلس في الباص لتصفح الانترنت..الفارق فقط..مم ما الفارق ؟ هلا أحبتموني أنتم ؟

اذا كانت الرحلة قصيرة و الباص مريح فلا وجود للتعب في السفر على الاطلاق..و لذلك الحمد لله لم أشعر بالتعب في هذه الرحلة

وصلت الى كوجالي...و ذهبت الى محطة الباصات لأسأل عن الباص المتوجه الى اومو تبه..اي قمة - تبة - الأمل , و الذي بها السكن الذي سأسكن به ان شاء الله

فقالوا لي انه لا يوجد هنا باصات تتوجه الى هناك و لكن اذهب الى الخارج و امشي في هذا الاتجاه و استقل باصا من هناك , سألتهم عن رقمه فلم يعرفوا..المهم انتظرت فترة من الزمن و لم أجد أي شيء..سألت البعض من المشاة و لم يعرفوا..لم تكن المنطقة مأهولة..فطبيعي أن أي موقف باصات يكون في مكان بعيد قليلا عن المناطق المفعمة بالحركة..و لتوفيق الله عز و جل

سألت شخصا عن الباص المتجه الى اومو تبه فأخبرني أنه هو أيضا متجه الى هناك..فاصطحبني معه و دفع لي ثمن تذكرة الباص لأنني لا أملك بطاقة ركوب الباصات الخاصة بالمدينة تلك , فأخبرته أنني أريد دفع قيمة التذكرة له , فقال لي لا يمكن

قلت له أرجوك..فرفض..سألته لماذا..أخبرني أنني ضيف . و جلسنا نتحدث فاكتشفت انه في كلية العمارة و أنه في اخر سنة له بالكلية..كان اسمه سردار . و كانت أمنيته ان يعمل باحدى الدول العربية كقطر او العراق بعد الانتهاء من الدراسة ! تعجبت كثيرا و قلت له العراق ! قال نعم..و قال

فيما معناه ان الوضع هناك ليس بالسوء الذي تخيله.. طلب مني حسابي على الفيسبوك فأعطيته و كنت سعيدا جدا بلقائه و مساعدته لي..

نزلنا من الباص و توجهنا الى السكن و توجه معي الى الادارة لمساعدتي في اجراءات التسجيل..كان طيبا كما احسبه و مساعدا لأقصى درجة , ساعدني كثيرا في الدخول من بوابة

الجامعة - حيث ان السكن بداخل الجامعة - و في الدخول ايضا لبوابة السكن..

حقا انا مدين له بالفضل !

اتصلت بصديقي محمد جمال ليأتي لي بالاذن الذي سجله في الصباح لأستطيع المكوث هنا في السكن لمدة يومين..

تحدثنا عن أحوال مصر و عن أحواله في السكن و أصدقائه و دراسته..و هو شخص مرح و مضياف و مساعد و يشبه صديقي اسلام فؤاد جدا في الشكل ! لذلك احسست انني قابلته من قبل !

أهداني بسكويت - معمول - بالتفاح و كانت لذيذة جدا ..أشكره من موقعي عليها ! و الملاحظ أنه يصر أن يسميها "فطيرة تفاح" و أنا مصر على تسميتها - بسكوت -

بالمناسبة.. عيب الكتابة باللغة العربية فى المذكرات أنك لا تستطيع - أو تظن أنك لا تستطيع - أن تضع ال"سمايليز" الالكترونية !

نمت بعد تصفح طويل للانترنت لأستيقظ اليوم التالي فى العاشرة تقريبا لأستعد لأول أيامى بمدينة ازمت , تناولنا الفطور.. كان بالنسبة اليّ عبارة عن بطاطس مقلية و عصير فواكه , و الجدير بالذكر عموما

ان هذا السكن ما شاء الله من أحسن السكنات الطلابية فى تركيا فهو ليس كالسكن اطلاقا.. لن أحكى عنه كثيرا حتى لا يُحسد ! و لكن أكتفى بقولة ما شاء الله..

توجهنا فى وقت يقترب من الواحدة الى أول خطوتنا فى رحلة اليوم و هي الذهاب الى سبكا بارك.. حديقة تقع على بحر مرمره.. و هي حديقة جميلة ليست صغيرة , و بها مناظر رائعة تجمع بين النقاء الخضرة مع البحر فى مشهد لم أره كثيرا فىم قبل , يوجد بالحديقة طائرة حربية قديمة تصورنا معها أنا و رفقاء الرحلة , لنفاجئ فىم بعد أن الكثير قلدونا و تسلقوها ليتصوروا معها أيضا !

و يوجد بالحديقة ساعة تعمل بظل الشمس.. فكرتها بسيطة و جميلة.. و هي عبارة عن عمود حديد مائل بزاوية معينة تنعكس اشعة الشمس عليه لتلقى بظلالها على دائرة على الأرض مرقمة لتعطيك كم الساعة تحديدا.. و سوف أرفع صور لها على صفحة "مغترب فى تركيا" باذن الله و لعبنا قليلا فىم بعد مع الاجهزة الرياضية البسيطة التى فى الحديقة ثم توجهنا بعد ذلك مباشرة الى متحف السفن القريب من الحديقة لندخل اولاً فى احدي الغواصات الحربية القديمة نسبيا لنرى كيف هي من الداخل.. و المعيشة بها و الاجهزة المستخدمة و نظام عملها.. الى اخره

ثم توجهنا الى سفينة حربية من الداخل لنرى المثل أيضا..

كما يوجد بالمتحف معرض لملابس البحرية العثمانية و لمحات تاريخية من البحرية..

استمتعت و استفدت كثيرا من زيارتي لذلك المتحف ..مما استفدت اليوم :

1- ان الحياة البحرية العسكرية صعبة للغاية و ليست بسهولة فيلم " اسماعيل يس فى البحرية " مطلقا !

2- الحروب ليست بالسهولة المطلقة التى يتحدث بها الشباب المتحمس - و أنا منهم- على طريقة " ياللا نحارب اسرائيل بكرة " بل لابد من اعداد قوي " و اعدوا لهم ما استطعتم " و من تجهيز مادي و معنوي..حتى و لو لم نصل الي مستواهم العسكري..فالاعداد مطلوب و على الله النتيجة !

3- من أسباب سقوط الخلافة العثمانية التخلف و الجمود الذى أصاب العسكرية , الاهتمام بالعسكرية أمر هام لاقامة دولة اسلامية قوية , فنحن فى أرض من سنن الله فيها سنة التدافع . و الحق لابد له من قوة تحميه , فكيف بحق معادي للطواغيت مثل الاسلام ! و لهذا السبب و غيره شرع الله لنا عز و جل الجهاد فى سبيله .

.. و من أكثر ما شاهدت و اشمئزت له نفسى فى المتحف غرفة صغيرة بها صور لأتاتورك و بعض الحكايات عنه , و صورة له و هو ميت , و فعلا..تشعر أن عليه غضب الله من هيئته الميتة , تذكرت فرعون و صورته المنتشرة على الانترنت عندما رأيته..يمكنكم البحث عنها و اجابتي هل شعرت بمثل ما شعرت به أم لا ؟!

.. بعد ذلك توجهنا الى وسط المدينة لتناول الطعام بعد يوم متعب , و لكن صلينا أولاً فى مسجد بوسط المدينة صلاة المغرب , و كان الجامع ما شاء الله ممتلئاً جداً بالرغم من وجود عدة جوامع فى هذه

المنطقة كما أخبرني محمد , الصحوة الاسلامية قادمة باذن الله..و لكنهم يحتاجون الى من يدعوهم و يوجههم الى الطريق الصحيح ان ضل عنهم بعض ما لا يعرفونه عن الاسلام..
حقيقة هذا ليس ذنبهم انما ذنبنا أننا لم نبلغهم ! فاللهم أعنا على حسن الدعوة اليك !

..
توجهنا بعد ذلك الى مطعم شاورما به جارسون يتحدث لغة عربية افضل قليلا من لغتي التركية الحالية أو أفضل كثيرا لا أعلم..
فسألته كيف تعلم اللغة العربية ! فضحك و قال لى تعلمتها ! فأخبرته عن سبب تعجبي و هو أن اللغة العربية صعبة بالنسبة للكثير من الاتراك فاجابني بالاتفاق..
كانت شاورما الدجاج لذيدة حقا..و قطعتين من الساندوتش - كما يسميها الاتراك - اي ساندوتشين يعني كافيان أن يملأوا بطنك - ان استطعت أصلا أن تأكلهم كاملين -
بعد ذلك توجهنا الى احد الشوارع التجارية نتجول بها ثم توجهنا الى موقف باصات لنستقل الباص عائدين الى السكن
الجدير بالذكر ان الموقف يواجهه كبري مشاة كبير يسمي كبري عدنان مندريس..هل تعرفونه ؟
انصحكم بالبحث و القراءة عنه..فهو جدير بأن تقرأوا عنه..صدقوني

..
رجعنا الى السكن تصفحت الانترنت قليلا كالمعتاد..ثم نمت و استيقظت في منتصف الليل مفكرا فيم سأفعل الغد باذن الله و هو اخر يوم لي هنا
بحثت على الانترنت و لم اجد الكثير عن محتوى تلك المدينة فالعرب قلما يزوروا فيم أعتقد , فبحثت بالانجليزية فوجدت بعض المعلومات التي أفادتني..
اذن لدي العديد من الأماكن و علي الاختيار فيم بينها لأرى ما سأزوره :
اولا حديقة الحيوانات..و لا أعتقد أنني سأختارها لأننا لدينا أيضا حديقة حيوانات في بورصة و الوقت لا يسمح لزيارتها
ثانيا هنالك مركز للترحلق على الجليد في قمة الجليد

kartepe

و لكنني أيضا لن أختارها حيث في بورصة الترحلق على جبل اولودا له مذاق اخر ! و قرأت أيضا أنه غالي قليلا..فلا داعي اذن..

هنالك أيضا برج ساعة ازمت و يوجد بقربه حديقة للجلوس بها و لكن في موقع تريب ادفايسور الشهير كتبوا انها منطقة تدخين بشكل لا يحتمل..و كتبوا ايضا ان زيارته ليست سببا كافيا لتأتي الى ازمت بسببه !

يا الله..ماذا سأزور اذا ! الان علمت لماذا لا يزورها العرب كثيرا
كما يوجد بحيرة بالقرب من ازميت تسمى سابنجا - بتعطيش الجيم - و لكنها ليست قريبة جدا و في الاتجاه المعاكس لبورصة..هي قمة في الروعة و لكن الوقت لن يسعفني لزيارتها
هنالك أيضا شارع الحرية الشهير و الشارع الرئيسي للتجول و التسوق في ازميت و هناك تشعر بازمت كما يُقال..اذن فلنضعه في الاعتبار..زيارته ضرورية اذن لنشعر أننا أتينا الى ازميت !
يوجد أيضا بارك لوناسان و يبدو أنها حديقة ترفيهية لا بأس بها..سأحاول زيارتها - ان استطعت الوصول اليها ان شاء الله - ! فهي تبدو مسلية نوعا ما
فتحت الموقع الالكتروني الخاص بها فوجدتها رائعة و تستحق الزيارة بالفعل وتشوقت جدا لزيارتها..تذكرني باحدي الملاهي الشهيرة بمصر !

و لكن أين أصدقائي الان ..! سأذهب ان شاء الله وحدي ! فمحمد لديه امتحان في مدرسته و لا يمكن أن يترك المذاكرة و يذهب للتجول في هذا اليوم !

هذا هو الموقع يمكنكم تصفحه ان اردتم

<http://www.parklunasan.com.tr/>

..

بالصدفة الغير محسوبة..وجدت فى موقعهم اعلان " سنفتح مجددا فى شهر ابريل 2014 " !
تذكرت حينها مقولة أحد أصدقائي فى تركيا ان الملاهي تغلق فى الشتاء بسبب سوء الظروف
الجوية..

تعلمت هنا شيئين..ان السفر بدون تخطيط مسبق جيد قد يكون غير جيدا أحيانا..و الثانية أن ازميت
ليست المدينة التى قد تعطىها وقتنا لزيارتك السياحية ان قضيت فى تركيا أسبوعا أو أقل..
و مع العلم انني لست متأكدا ما اذا كانت مغلقة ام لا حاليا..و لكن لا أعتقد أنني سأغامر بالذهاب
لأجدها مغلقة فى النهاية !
سأستبدل ذلك اذن بجولة فى شارع الحرية ان شاء الله و من ثم اتجه باكرا الى بورصة مدينتي
الحبيبة مجددا..
كم اشتقت اليها و الى سكني !

أٲقرة...ٲ

من قلب العاصمة التركية

وصلني خبر عن وجود اجتماع للطلبة المصريين في تركيا بأنقرة لمناقشة تأسيس اتحاد للطلاب المصريين في تركيا . فوجدتها فرصة جيدة لزيارة انقرة لمقابلة اصدقائي المصريين الذين اشتقت اليهم كثيرا

و خاصة أسامة الشامي و محمد علي و ساهر و في نفس الوقت فرصة لحضور الاجتماع و مشاهدة ما سيتم عن قرب..و كذلك فرصة لزيارة العاصمة و مشاهدة معالمها و جو شوارعها و مبانيها..

قررت السفر الى انقرة بعد امتحان المستوي الرابع مباشرة...الموافق يوم الجمعة 27 ديسمبر 2013

فبعد الانتهاء من الامتحان ذهبت الى السكن و اخذت اذن السفر و توجهت بعد حين الى موقف الباصات ببورصة لحجز تذكرة الى انقرة..فحجزت في باص ينطلق في الرابعة و النصف ليصل في حوالى الساعة العاشرة مساء

و بطبعي فاني لا أحب أبدا السفر بباص و خاصة ان كانت المسافة طويلة كانت حقا رحلة متعبة..

المهم..وصلت الى انقرة و نزلت في موقف الاتوجار "أشتي" و كان في انتظاري صديقي اسامة ليأخذني من الموقف الى السكن الحكومي الذى سأقيم به في منطقة جول باشيه و فى سكن ايمير..فى غرفة مع صديق فلسطيني طيب خفيف الروح..أقمت لمدة ليلتين و 3 ايام فى انقرة.. الليلة الاولى كانت منتهية تقريبا..و لكننا مكثنا فى الغرفة..و جاء صديقي اسامة لنتسامر قليلا مع صديقنا الفلسطيني الطيب وسيم..و صديق فلسطيني اخر ذو ظل خفيف..و مزاح غريب..لكنك لن تجد مشكلة فى التعامل معه حتي مع مزاحه..

و كان بالمناسبة يدرس العمارة أيضا..

المهم تسامرنا اول ليلة..ثم توجهت الى النوم لاستعد لليوم التالى للتجول فى العاصمة.. استيقظت فى حوالى الساعة العاشرة و النصف تقريبا..و جاء صديقي اسامة الى الغرفة و اصطحبنا الى صالة الطعام لنتناول الفطور..طلبت بطاطس مقلية و يا ليتني ما طلبت ٨٨ ! لم تكن محضرة فور طلبها..و انما معدة من قبل ف لم يكن طعامها جيدا على الاطلاق..

قبيل الساعة الواحدة ظهرا استعد كل منا و علم أسامة عن طريق برنامج فى جواله ميعاد الباص القادم المتجه الى كيزلاي و هي بمثابة وسط البلد فى القاهرة..فاتجهنا سريعا الى موقف الباص و ركبنا الباص المزدهم جدا الى كيزلاي و وصلنا فى حدود 25 او 30 دقيقة

اتجهنا الى المول الكبير المتجه بكيزلاي و قابلنا اصدقائنا المصريين هنالك و ثم بعد ذلك انتظرنا الى مجئ الساعة الرابعة الا تلت تقريبا لنتجه الى مقهى قرطبة الذي سيقام به الاجتماع

كان من المفترض ان اتجول فى ذلك الوقت فى المدينة..و لكن لحدوث ظروف ما لم استطع التجول

..

بدأ الاجتماع و تناقشوا في فائدة الاتحاد و وظائفه..و عن اللائحة الجديدة المتوقع صدورها و عن اختيار مندوب او ممثل للمصريين فى البي تي بي..الهيئة المانحة بدأ الاجتماع فعليا فى حدود الرابعة و النصف و انتهى حوالى الساعة السادسة مساء

ثم اتجه الجميع الى مطعم شافرما - شاورما - لتناول الشاورما فى جو ودي و لكنني لم أفضل تناولها معهم و ذهبت أشتري شيئا اخر أكله ثم انتهى الجميع..و جلسوا قليلا يتحدثون..المهم لم أستطع القيام بأي جولة فى هذا اليوم و ضاع اليوم دون فعل أي شئ فى المدينة بالنسبة اليّ لذا كنت قليلا نادما على ذلك اليوم الضائع.. و لكن محمد علي أخبرني أنه برفقة صديق تركي سيذهبون الى جولة متحفية فى اليوم التالى..فأخبرته أنني أريد الذهاب.. و فى اليوم التالى بالفعل ذهبت اليه فى سكنه " تحسين " بطريق اسكيشهير انتظرتة و دخلت الى استراحة الضيوف بالسكن..و جاء صديقنا ساهر و جلسنا سويا و تناقشنا فى عدة مواضيع و كحركة شهامة من صديقنا المصري ساهر اشترى لنا قالب كيك و عبوة عصير تفاح لتناولهم كوجبة فطور.. سلمت يا ساهر ! انتظرنا التركي المسمي بحسين و الذي كان من الحزب الجمهوري الاتتوركي و لكنه لم يكن قوميا متشددا..كان يعرف الانجليزية و هذا يعتبر شيئا مميزا لدي الاتراك..و كان يستفيد كثيرا من صديقي المصري ليتدرب على الانجليزية.. تقابلنا و مكثنا ننتظر محمد ليتجهز للخروج و فى حوالى الساعة الثانية الا ربع تقريبا اتجهنا للباص المتجه الى كيزلاي لمقابلة صديق حسين لنتجه سويا الى الرحلة المنتظرة.. فماذا زرنا ؟ و كيف كان هذا اليوم ؟

و بعد أن تقابلنا مع حسين , اتجهنا جميعا الى المترو لننزل بمحطة كولتور مركزي , و مشينا الى حيث متحف الحضارة الأناضولية , فى جنوب قلعة أنقرة فى منطقة (ات بازار) , و أقيم هذا المتحف لأن أتاتورك كان يريد أن يقيم متحفا لاحياء قومية الهيتيت – و هي قومية قديمة مثل قومية الفراعنة فى مصر - , ليحاول إحلال الشعور بالفخر بالانتماء للعثمانية الى الفخر بالانتماء الى التركية ! , مثلما حدث فى مصر أيضا , دعوني اقتبس اقتباسا من كتاب التصور السياسي للدعوة الاسلامية للشيخ رفاعي سرور :

" و يحدث نشر البدع و منها – الانتساب العاطفي – للتحول بالناس من مرحلة الانتساب العاطفي الخاطئ مثل التصوف ثم الاقتلاع العاطفي مثل مرحلة الانحلال و الإدمان , ثم اقتلاع الجذور التاريخية و مثال هذا ما يحدث فى بلاد العالم المنتسبة للاسلام حيث يتم هدم الفكرة تاريخيا من خلال الفكر العلماني , و تأكيد الانتساب لمرحلة ما قبل الانتساب مثل الفرعونية فى مصر لضعاف الانتساب الإسلامى التاريخي لهذه البلاد , مثل تغيير اسم شارع عمرو بن العاص الى شارع كورنيش النيل , قترى اللافتة قد كتب عليها ذلك , و مثل تغيير علم محافظة القاهرة الذي تمثله مذننتا باب زويلة و تحويله الى شمس فوق عبارة القاهرة , و هكذا عاد امون و رع و ذهبت المذننتان ! "

و مثلا اخر , فقد تسمع كثيرا " أحفاد الفراعنة " و لكنك لن تسمع " أحفاد الصحابة " أو الفاتحين.

و لنرجع الى مرجوعنا , ففي هذا المتحف يوجد بضع الاثار على بضع تماثيل و عملات معدنية قديمة و أدوات طعام الى عصور قديمة جدا , و لم أهتم كثيرا لأنني رأيت أشياء مشابهة لتلك الأشياء من قبل في متحف الاثار ببورصة , و فاجئني محمد بقوله : " و ماذا أستفيد عندما أرى ذلك الوعاء الذي كان يأكل به الرومانيين ؟ " , الأذواق تختلف.

بعدها اتجهنا الى مجلس الشعب الثاني الذي أقيم في عهد أتاتورك , و بعيدا عن العمارة الساحرة التي بداخله , الا أنه استفزتني يافطة معلقة في قاعة الجلسات , مكتوب عليها "الحاكمية للشعب" , لأنه من المعروف أن كلمة الحاكمية مرتبطة بعبارة " الحاكمية لله " عز و جل , و لكن ماذا ننتظر من أتاتورك و مجلسه , شيء طبيعي !

و بالطبع بداخل المجلس غرفات بها متعلقات أتاتورك , ملابس له , على بضع كتب كانت له , على أشياء كثيرة من "رائحته" , على تسجيلات صوتية بصوته , تقديس غريب , و بالطبع زميلنا العلماني كان في قمة السعادة و الانبهار , بالإضافة الى غرف أخرى تحتوي المثل لكن لرؤساء اخرين مثل انينو .

خرجنا من المجلس و قد أظلمت الدنيا قليلا , اتجهنا للمترو و غادر الشباب الأتراك , و لكن الساعة كانت لا تزال السابعة و لم أرد المغادرة في ذلك الوقت المبكر , قلت لمحمد : " هل أتيت من مدينتي الى هنا لأذهب الى البيت في السابعة مساء ؟ " , هيا بنا نذهب الى أي مكان يا رجل ! , فقال لي اذن فهيا بنا نذهب الى انكا مول , واحد من أكبر مولات أنقرة , ذهبنا الى هناك , و يا ليتني ما ذهبت , فبعيدا عن مظاهر الانحلال الموجودة به , شاهدت في حياتي هنالك رجالا على بطاقات هويتهم فقط و ليسوا رجالا في حقيقتهم , و كان هذا المشهد مقززا جدا بالنسبة الى فطلبت من محمد أن نبتعد من مكانهم بسرعة , فقال لي و أنا أيضا أردت ذلك !

و صدق من قال : " اذا استطاع اردوغان السيطرة على انقرة و ازмир فقد سيطر على تركيا بكاملها ! " , مقولة تحمل بين طياتها سخرية و لكنها في ذات الوقت تعبر عن حقيقة أكبر مدينتين علمانيتين في تركيا , تجولنا قليلا جدا في المول , ثم خرجنا الى الهواء الطلق , وجلسنا الى مقعد أمام المول و تحدثنا أنا و صديقي محمد في عدة أشياء , و طلبت منه أن يذهب هو الى السكن و سأكمل أنا رحلتي وحدي لكي لا يتعب , فوافق بعد أن رفض , و قررت أنا استكمال رحلتي في كيزلاي , لأمشي قليلا في وسط البلد و أتناول الشاورما من محل شاورما الشهير , و الذي نصحني به أصدقائي و بعدما تناولته وجدته عاديا لا يستحق عناء التجربة !

و لا أعرف اذا قد لاحظتم أم لا أنني أكتب عن أنقرة بشكل سريع و مختصر و ملخص و ذلك لعدة أسباب , منها :

1 - أنني لم أحب تلك المدينة مطلقا , و معظم المصريين من خارج أنقرة لا يحبونها كذلك و لا يأتون اليها كثيرا.

2- المدينة مملة , كنت أظنها ستكون أكثر تشويقا لأنها العاصمة , و لكن ليس فيها أي شيء , و لا أعتقد أن الكثير من السياح يذهبون اليها.

3- المدينة ممتلئة بالمظاهر الغير لطيفة , و للأسف رأيت بعض المحلات المكتوب عليها " لاف شوب" أي محل الحب , و التي ظننتها أولا محلات لبيع " الدباديب" و الأشياء التي من هذا القبيل الى أن نبهني أصدقائي أنها بيوت ممارسة الزنا أعاذنا الله و اياكم .

و بالرغم من ذلك أيضا , و لأن تركيا بلدا للمتناقضات , فليس الحال في أنقرة كذلك في كل مكان , بل أنني وجدت إعلانات مثلا لمسابقات لحفظ القران الكريم معلقة في مواقف الباصات , و أشياء أخرى تدل على أن الخير موجود أيضا في تلك المدينة حتي و ان لم يكن ظاهرا ظهور المظاهر التي يسمونها "متحررة".

و من المواقف الطريفة التي حدثت لي في أنقرة هي أنني و بينما كنت أتحدث بصوت "عادي" مع صديقي في الباص , وجدت الراكبين ينظرون اليّ ! ماذا بكم أيها الأتراك؟! , فأخبرني صديقي أنهم هنا يكرهون الصوت العالي في أنقرة , فقلت له أن في بورصة لم أجد هذا , و لكن من الواضح أن هنا "الناس في أنقرة شايقين أنفسهم شوية !"

و جاء موعد مغادرتي , و قام الأصدقاء المصريين بتوديعي , و قام صديقي أسامة مشكورا بالاتصال بي كل فترة ليطمئن على أخبار الطريق.

و على العموم , الشئ الوحيد المستفاد من أنقرة , هو أنني رأيت أصدقائي بعد طول غياب.

باندیرما..

بانديرما..و محمد رضا !

في ذات يوم , أخبرنا مدرسنا أنه سيذهب غدا الى مدينته بانديرما و التي تقع في محافظة باليك اسير , و سألنا نحن طلاب فصله عن يود الذهاب معه في سيارته كجولة سياحية , ففكرت أنا و رامون و زميلتين أخريتين من الفصل الذهاب مع مدرسنا , و بالفعل ذهبنا سويا في رحلة تبعد عن بورصة بحوالي الساعة ونصف الساعة, خرجنا بعد الدرس مباشرة لنصل هناك في حوالي الساعة الرابعة و بضع دقائق , أنزلنا المدرس في وسط المدينة لنتناول وجبة الاسكندر كباب من أحد المطاعم هناك , و بعد أن تناول الأصدقاء الوجبة , تركنا المدرس على شاطئ البحر , لنتجول بحرية في المدينة على أن نلتقي ليلا بعد أن ينهي هو مشاويره , و بالفعل ذهبنا الى البحر , وسط درجة حرارة تصل الى الدرجات السالبة , كانت هذه أقصى درجة حرارة سالبة رأيتها منذ أول مقامي الى تركيا , كتبت بوستا على الفيسبوك لتخليد تلك الذكرى فحواه أنني لا تستطيع تحريك يدي و لا أشعر بأنفي من شدة البرد !

و تركت الفيسبوك و أكملت الرحلة مع الأصدقاء , ذهبوا للاحتفاء من البرد الى احدي الكافيات طلبوا مشروبات ساخنة و لم أود أنا طلب شيء , و بينما هم يتحدثون اذ أفتح الفيسبوك لأقرأ الأخبار و أتابع منشورات الأصدقاء لأجد من يعلق لى على البوست تعليقات من نوعية : " مش عارف تحرك ايدك عندك من البرد احنا مش عارفين نتحرك من وابل الرصاص و الغاز ! " , أي رصاص و أي غاز؟! , صديقي في هندسة القاهرة يكتب الي هكذا , و اليوم ليس موعد مظاهرة مثلا في أي مكان بمصر ليقول هذا , و أنا مستغرب و لا أعرف ما يحدث , ثم أنزل في حائط المنشورات لأجد صورة رأس عليها دم , و مصابة بطلقة أو طلقات , لا , لا تخبرني من قُتل , لا ليس هو محمد رضا صديقي , ليس هو ذلك الشخص الطيب ذو الوجه البشوش , الذي لم نراه الا مبتسما دوما , ذلك الشخص الذي نحسبه متدينا و لا نركيه على الله عز و جل و نرجو من الله أن يرزقه الجنة و نحسبه شهيدا عنده سبحانه و تعالى , محمد قُتل , محمد قُتل داخل كليتي ! داخل هندسة القاهرة ! , و متي أعلم ذلك , و أنا في رحلة مع أصدقائي ! , لماذا أنا لست هناك ؟ لماذا أنا لم أكن معهم في هذا اليوم تحديدا ؟ , كيف ؟ أنا لا أتخيل ! كلية من أرقى كليات مصر و التي تضم صفوة الطلاب المتفوقين على مستوي مصر مثل هندسة القاهرة , لماذا تأتي اليها الداخلية القذرة و تطلق النار و الغاز على طلابها , و على من تطلق النار ؟ على محمد !

بكيبت بشدة وسط أصدقائي و هم لا يعلمون السبب , لم أستطع الكلام أريتهم الصورة و تركتهم و مشيت وحدي , جروا ورائي و حاولوا تهدئتي , قلت لهم أنني أريد أن أبقى وحدي في تلك اللحظات , و دارت في ذهني الكثير من التساؤلات حينها, لدرجة أنني فكرت في النزول الى مصر يوم 25 يناير للمشاركة في التظاهرات , و مكثت أبكي طوال المسير , و كنت أريد التأكد تماما من الخبر , أريد تكذيب نفسي و أقول أنه قد يكون أصيب و سيقوم و سيكون بخير باذن الله فيما قريب , دخلت على صفحة محمد كمال صديقي في الكلية و قرأت ما كتبه و استمررت في البكاء , هو مات فعلا , استشهد كما نحسبه , أسأل الله أن يرحمه .

و حتي و ان كانت بانديرما مدينة جميلة , فان ذلك اليوم يرتبط فقط بذكرى محمد رضا في ذهني , فاذا سمعت بانديرما دائما أتذكر محمد رضا , فقط لا غير , لا أذكر البحر و لا برودة الجو و لا

محلاتها التجارية و المشي في شوارعها ليلا , فقط و دائما أذكر صديقي الطيب المبتسم , محمد
رضاء!

حكايات متفرقة...

محبوس خارج وطني !

و يكون حظي أن أسافر الى تركيا في الوقت الذي تتدهور فيه العلاقات المصرية التركية و التي يتم فيها سحب السفير المصري من تركيا و يتم فيها تحذير الدولة التركية من التدخل في الشؤون المصرية بسبب قضية رابعة بالطبع و رفض اردوغان للانقلاب العسكري بمصر , و يكتمل هذا الحظ بأنني بالكاد أخذت تصريح سفر قبل سفري الى تركيا من الجيش للدراسة , و لكنني اذا عدت الى مصر فقد يكون صعبا جدا أن أحصل على تصريح سفر مرة أخرى من "الجيش الذي قام بالانقلاب " الى تركيا " الدولة التي تعاديبها سلطة الانقلاب " , الموضوع صعب اذن , وددت النزول الى أهلي في مصر في إجازة نصف العام لزيارتهم , و لكنني لا أستطيع , لأنني اذا رجعت الى مصر فقد لا أعود الى تركيا مرة أخرى ! فتضيع عليّ دراستي الى الأبد , اذن فأنا أشعر بأنني محبوس خارج وطني في ذلك الحين , أشعر أيضا أحيانا بالعجز تجاه ما يحدث في بلدي , و تجاه أصدقائي , وددت لو كنت هناك فأفعل شيئا , لكنني لست هناك.

و على العموم , فان خبرا مهما في مصر مثل قطع أو تخفيض العلاقات المتبادلة بين البلدين , لم أعرفه الا عن طريق أصدقائي المصريين بواسطة الانترنت , أما هنا فلا أحد يهتم مطلقا , و لم أعرف هذا الخبر من أي شخص تركي هنا , لن أقول السبب لأنني أستحي و أحزن من قوله و لكنكم فيما أظن تستطيعون تخمينه بسهولة ان أردتم.

و على الجانب الاخر , يخبرني أحد الأصدقاء بمقولة أثرت فيّ كثيرا " لست أنت المغترب , بل نحن هنا تحت حكم العسكر المغتربون ! " , و بالنسبة اليّ كما أخبرت صديقي , مصر بالنسبة اليّ و خاصة تحت حكم العسكر , هي العائلة و الأصدقاء و البيت و الشارع , ذكرياتي و حياتي التي قضيتها , و لهؤلاء أفقدتها , و لهؤلاء أشتاق اليها من حين الى حين , و فقط يمنع اشتياقي بعد تذكري لكل تلك الذكريات حالتها المحزنة الان و التي لا ترضي أيا منا على الاطلاق , لم نعم بالثورة لنجد ذلك المستقبل !

و تمر الأيام سريعا , فقد مرت قرابة الأربعة أشهر منذ مجيئي الى هنا , و لم أشعر بمرورها أبدا , هل تتوقعون مني أن أكتب اليكم أنني بكيت شوقا لمصر ؟ الغريب هنا أنني لم أبكي و لو مرة واحدة من اشتياقي لها , قد أكون ممن لا يبكون كثيرا , و لكنني لست جافي القلب أبدا , من يريد أن يشترك الى القرية الظالم أهلها , أنا فقط أشتاق الى النزول لأشارك في الكفاح ضد طاغوتها , لا الى الخنوع تحته و الرضا بحكمه , فالعيش مقيدا بعد تذوق طعم الحرية لهو أمر شاق للغاية ! , و من منا لا يتمني لو لا قدر الله استمرت الأوضاع بهذا الشكل أن يرحل منها و يكمل دراسته أو عمله بخارجها؟ , تصلني شهريا عشرات الرسائل المتسائلة عن المنح , و كيفية التقديم اليها , و الرغبة المشتعلة في ترك البلد حتي من أكثر من عرفت من أصدقائي المتفائلين , الذي قال لي معني : " أنا أعرف انك قد سئلت هذا السؤال كثيرا , لكنني أريد السفر أيضا ! " , و ما ان رأيت هذه الرغبة في هؤلاء الشباب , الا و ازداد حزني حزنا فوق حزن, اذا ترك البلد شبابها فمن يبقى لها ؟ , ليرد عليّ صوتا ما بداخلي يتساءل : أي بلد ؟ , البلد الان ليست لنا و لكنها ستصبح يوما ما باذن الله !

قبل أن تتسرع يا صديقي و تخبرني بأنني أيضا تركتها و رحلت, أود أن أذكرك أنني قدمت على منحتي قبل الانقلاب بفترة , و لكنني لست في موقعا للدفاع عن نفسي بأي حال , و بالمناسبة لا يفهم

من كلامي السابق أيضا أنني أشجع أصدقائي على البقاء في مصر , فأني شخص يسألني لا أقول له أبدا ابقى في مصر , و مصر بلدك الى اخر تلك النصائح , بل أقدم المساعدة قدر ما أستطيع , و لكنها كانت فقط خواطر ينطق بها قلبي و استجابت لها أصابعي التي تكتب الان بنقرات متناقضة على لوحة المفاتيح دون حتي معرفة سبب ما أكتبه !

من الأزمات التي نعاني منها في مصر للأسف , أزمة أخلاقية تعصف بالكثير من طوائف الشعب الا من رحم ربي , فنحن نسير بخطي سريعة نحو هذا الاتجاه المظلم تحت قيادة شرذمة من بعض من يسمون انفسهم بالفنانين او المثقفين و لذلك نرى تأثير و أثر ذلك في شارعنا المصري فلأسف نجحت تلك الشرذمة في مسخ فطرتنا الانسانية على مدار سنين , فمن منا يتخيل ان يرى طفل ذو عشر سنوات يمارس الحب مع طفلة اصغر منه بالسن في الشوارع في مصر كما كنا نرى تلك المشاهد المقززة ! و قد صدق رسولنا صلى الله عليه و سلم حين قال :
لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن

..

صدقتم يا رسولنا صلوات الله عليك
و مع الاسف ايضا بدأت موضة "الاحاد" و اللادينية بين بعض الشباب المصري..بالتأكيد ليست بالشكل المهول الذي يصوره البعض
و لكن علينا ان نأخذ في الحيطه ان الامر قد لا يكون بتلك البساطة التي نتخيلها
بالاضافة الى التفكير الحيواني الشهواني و اخشي ان تكون مرحلة التطور اللا اخلاقية القادمة اشد مغبة من ذلك كله
الى ان يصل بنا الحال لنكون كأمریکا مثلا !
أتذكر من بضع سنين
بينما كنت أمشي في الشارع رأيت شاب و فتاة يمارسان الحب علنا بلا احراج
فصرخت فيه من فرط غيظي فقال لي ما شأنك
فذهبت الى أصحاب محلات لأخبرهم ليساعدوني على ايقاف هذا الباطل
فقالو لي : و ما الغريب في ذلك..دعهم دعهم..انهم غير محترمين..
أهذا رد فعلكم أيها " الرجال"
سحقا !.....

من فوائد الانقلاب أيضا سقوط المقولة الشهيرة : شعينا متدين بطبعه
ذوي البصيرة يدركون ما تؤول اليه الامور اذا استمرت الامور كذلك بدون تغيير جذري او ثورة
دينية فكرية تحدث في القريب
و الدنيا لا تستقر ابدا على حال
اما الى صعود و اما الى هبوط
فلنختار لانفسنا اذا ما نريد !!...

اسلام رامون !

و لن أجد أجمل و أقرب من قلبي الى ذاك الحدث لأختم به كتابي , فقد كان هذا أقرب اليّ من الحلم الى الخيال , فتلك أول مرة أرى بعيني شخصا يسلم , شخصا أعرفه , شخصا كان صديقي , ليس صديقي و حسب , انما هو صديق مقرب اليّ و يدرس في نفس تخصصي القادم باذن الله , رامون أعلن اسلامه و نطق بالشهادتين !

بدأت الحكاية منذ وقت مبكر , بعد تعرفي على رامون بعدة أسابيع , أخبرني أنه لديه صديقة تركية – مسلمة – فتعجبت , و قلت له : كيف ؟ هل رضيت بذلك ؟ , قال لي : هي قالت لي أنه لا يهتمها كوني مسيحيا أو مسلما , فلا حاجة لي لتغيير ديني لأكون معها , لكنني أريد أن أعرف عن الإسلام لنفسي أنا , قلت له لدي كتاب به مقدمة عن الإسلام بالانجليزية و مؤلفه هو يوسف القرضاوي , سألته اذا كان يريد استعارته ؟ قال لي بالطبع , فأخذته شاكرا , و مرت الأيام و لم يبدأ فيه حتى رامون رغم ارادته كما أكد لي , و لكنه كان يقول لي : الدروس كثيرة و الوقت ضيق و لا أعلم متي يمكنني قراءته ! , لم أهتم و لم أضغط عليه و لكن بعد مرور فترة من الزمن سألته عن الكتاب اذا كان يحتاجه أم يستطيع اعادته لي , فأعاد لي رغبته في بقائه فتركته له , و تمر الأيام ثانية و يترك رامون صديقه التركية , و لكن في ذات الوقت تحدث مشكلة بيني و بين رامون , و أقاطعه بسببها و يأتي ليعتذر أو يحاول الصلح و أرفض أنا , فيحاول – كما أخبرني فيما بعد – أن يخفف الحزن الذي جاءه من اثر قطع الحديث بيننا بأن يقرأ في الكتاب الذي أهديته له , و بدأ يقرأ و يقتنع بالعديد من الأشياء , و لكن ليس الكتاب فقط هو سبب الاقتناع , فان قابلية الاقتناع كانت موجودة بالفعل في نفسه , كما أخبرني بعد ذلك فيما معناه :

" منذ جئت الى هنا و أنا أتعلم منكم – المسلمون – كل يوم أشياء جديدة , أرى أرواحا و نفوسا طيبة لم أرها في بلدي رومانيا , هؤلاء الأشخاص لا يمكن أن يكونوا يتصرفون فقط من تلقاء أنفسهم , انهم يتصرفون و يتعاملون تبعا لذلك الكتاب , انه القران ! , كل شيء في القران و في الإسلام نفعه له سبب , حتى الوضوء , فعندما نتوضأ فانك ليس فقط تغتسل غسولا عاديا , بل تتطهر من اثمك و خطاياك , و كان بعض المسلمين يفعلون أشياء صغيرة جدا و لكنها أثرت في , مثل صديق مسلم كان يداوم على اغلاق صنابير المياه التي يتركها الاخرين اهمالا و يتسرب منها بعض نقاط المياه , و الكثير من الأشياء الصغيرة الأخرى التي أثرت في , لا يمكن أن يكون أبدا الاله مثل الشمس ! أو ثلاثة , الاله واحد , الموضوع بسيط جدا ! "

تخيل مسلما حديث الإسلام يخبرك بتلك الكلمات المؤثرة , ما شعورك و أنت تتلقاها وجهها لوجه ! , سبحان الله , إحساس لا أستطيع وصفه , فلقد أسعدنا رامون جميعا , أصدقاء و زملاء , كلنا سعدنا به .

كنا في مرة في الفصل, و أثناء الراحة التي ما بين الدروس , ناداني صديقي الياس الجزائري ليخبرني بشئ ما , و كان معه رامون , لم أتوقع ما هو الشئ لأفاجئ بالياس يخبرني بأن رامون أسلم , صرخت : " لا أستطيع التصديق ! " , و أخذت رامون في حضني , و أحسست فيه بصدق شديد , انه أسلم فعلا لأنه يريد أن يسلم , لا لشئ اخر , و لكنه طلب منا أن نتمهل قليلا قليلا , و لا نخبر الجميع مرة واحدة , و قد نوي على اعلان الشهادة في المسجد الكبير ببورصة (اولو جامي) مع أحد أئمة المسجد , و بالفعل ذهب الكثير من الطلاب برفقة رامون لحضور ذلك اليوم العظيم

الذي لا يتكرر كثيرا , و في طريقنا كان يبادلنا الحديث صديقنا الأفغاني نقيب الله الذي يدرس الشريعة , ليخبره ببعض النصائح و المعلومات عن الدين لصديقنا و أخونا المسلم الجديد رامون , و لا أستطيع وصف السعادة الغامرة التي كانت تغمرنا في ذلك اليوم , ذهبنا الى المسجد و بعد انتهاء صلاة الجمعة ذهبنا الى غرفة الوعاظ و جلسنا و القي الامام كلمته ثم نطق رامون بالشهادة بعدها , و كل تلك اللقطات مصورة بالفيديو و سأرفعها على صفحتي باذن الله و لكن في الوقت المناسب , و وجدنا بعض الاتراك الواقفين لتهنئة رامون , و بعد أن انتهينا و التقطنا الصور , اشترى نقيب الله لرامون سجادة صلاة و قبعة صلاة كهدية , و ذهبنا سويا الى أكل الشاورما في أحد المطاعم كنوع من الاحتفال باسلام رامون , و كما يصف رامون هذا اليوم فقد عبر فيما معناه :

" شعرت في هذا اليوم أنني أكلم الله عز و جل"

بالطبع شعوره في ذلك اليوم كان صعب وصفه , فهو في شعور جديد كليا مختلف اطلاقا عما قبله , لذا لم أفضل سؤاله كثيرا ذلك اليوم عن أي شيء , حتي هو شكرني على ذلك في هذا اليوم قائلا :

" أشكرك على شعورك بي , أنت لم تسألني عن شعوري بينما يأتي الجميع الي ليخبرني بماذا تشعر ؟ كيف أجيبهم على هذا السؤال الان ! "

ادعو له بالثبات , و مواجهة المشاكل المتوقعة سواء مع أهله أو مع أي فرد مهما كان , و أن يشرح صدره للاسلام و أن يتقبل الله منه صالح الأعمال.

أكتب الشعر و أتذكر صديقي الشاعر الصغير مصطفى نصار , صديقي و رفيقي منذ حوالى الثمان سنوات , و قد كتب لى تلك السطور ,

بصيت ف الساعة
ورايث البندول
ف نفس المكان
لقيت الكون بيدور
والزمان هو الزمان
وذكريات جميلة تسرد
وكانها ادم عينى ع الجدران
لكن مش كل اللى مكتوب بيدوم
والظالم فى يوم يبقى مظلوم
والعاجز مسيره هيقوم
وان سافر الولد واده دهره للبلد
بكرة رجوعه محتوم

فأكتب له :

و ان فانتت شهور و احنا بعاد عن بعض
فاحنا قراب حتي و بيننا اميال
و الصحب بيننا ما ينتهي و احنا
بيني وبينك بحر موجه بلاد

.....

و في النهاية اشتقت لكم يا أصدقائي , جميعكم !

لن أذكر أسماء لأن المقام لا يتسع , و لكني سأوصل تلك الرسالة لكم بعد انتهائي من تلك الكلمات

ليست..

ليست رحلتي الأخيرة باذن الله.. و انما محطة توقف..
ليست يومياتي الأخيرة.. و لكنها استراحة قلم الى حين..
لدي القلم المزيد , و في تركيا جديد ,
و لن تنتهي الرحلة ان شاء الله كما أتمني , طالما كنت على هذه الأرض أتنفس هواءها
لن أقول وداعا , و انما أقول الى لقاء قريب باذن الله.

محمد أحمد عبد اللطيف

www.facebook.com/egyptianturkey

twitter.com/3mtifa